الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
ب.د محمد فريد – القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٤٥ – الخميس ٨ رمضان ١٣٨٣ هـ – ٢٣ يناير ١٩٦٤ م – السنة الحادية والعشرون

الفهرس

كيفَ استقبلَ المسلمونَ رمضانَ

بقلم: أحمد حسن الزيات

استقبل المسلمون في استهلال رمضان ليلة الخميس الماضي اشراق الارض بنور السماء ، وربيع القلب بروح الله ، ورياضة النفس بمجاهدة الهوى ، فصاموا عن المنكر كله ، لايلغون ولا يبغون ولا يجدون في أنفسهم الا الصيام والقيام والنسك لله ، والا السلام والوئام والحب للناس ؛ حتى كان لهم من هذا الشهر حياة خاصة تميزت على سائر الحيوات بسكينة الرضا الخالص ونعمة الايمان المشترك .

واذا كان في دنيا الاسلام من يستقبل شهر القرآن بالوجه الكالح والصدر الضيق واللسان الطويل والغيظ الحانق فهم المسلم الكاذب والشيطان الرجيم والخمار الرومي !

فالمسلم الكاذب يجد في رمضان فطاما لشهواته ولجاما لغرائزه وقيدا لحريته ، فهو يرميه بما يرميه به الماديون من قلة الانتاج وكثرة الاهلاك وشل الحركة واضعاف الصحة فيشيح بوجهه عنه ويستبدل به رمضان آخر رقيق البدن خفيف الظل واسع الأفق يبيح النظرة الآثمة والكلمة العارية والأكلة الدسمة والكأس الدهاق والسيجار الغليظ . ولا يكلفه الا أن يجعل عشاءه من باب المجاملة عند الغروب وبعد طلقة المدفع !

واذا كان في بيوت المحافظين قارىء يقرأ القرآن

وذاكر يذكر الله ، وساق يقدم المرطبات ، فليكن في بيت هذا الصنف من المسلمين أجهزة ترجع الاحين الغناء وتردد أهازيج الرقص .

وهكذا نجد الليالي ونحن نلعب ، كأنما كتب علينا أن نأخذ الحياة من جانبها الفضولي العابث فنتأثر بها ولا نؤثر فيها !

وكأنما همنا أن نعيش صعاليك على تقاليد الامم دون أن تميزنا خصيصة من قومية ولا شعيرة من عقيدة ، وكأنما الشعائر التلمودية القاسية عاقت أشتات اليهود عن المغامرة والتقدم . وشتان بين نظام لاقليم ونظام لدنيا ، وبين شرع لأمة وشرع لعالم ..

ان هذا المسلم الكاذب على الرغم من تعلمه وتقدمه قد بعد عهده عن الاسلام الصحيح حتى ارتد الى عقلية ذلك الاعرابي الذي أسلم في أول الاسلام ثم قدم على ابن عم له في بعض المدن قبل أن يذوق حلاوة الايمان ويفقه حقيقة الدين فأدركه شهر رمضان .. فقيل له يا أبا عمرو : لقد أتاك شهر رمضان قال : وما شهر رمضان ؟ فقالوا : الامساك عن الطعام .. قال أبالليل أم بالنهار ؟ فقالوا لا ، بل بالنهار .. قال : أفيرضون بدلا من هذا الشهر ؟ فقالوا لا .. قال: فان لم أصم فعلوا ماذا ؟ فقالوا : تضرب وتحبس فصام يوما ثم لم يستطع .. فتحول عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمي وقد زرت مصرهم
تهيا أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابي ومزودي
سلام عليكم فامكثوا بسلام
وبادرت أرضا ليس فيها مسلط
على ولا مناع أكل طعام !

هذا البدوي الشاعر لا يزال يعيش في اهاب أكثر المتمدنين من أهل الحضر ، فهم يستقبلون شهر الصوم لا باعتباره ركنا من أركان الدين الخمسة يقيم الدين من أقامه ويهدمه من هدمه ، ولا باعتباره طهورا للنفس ونورا للقلب وجلاء للمشاعر ، ولكنهم يستقبلونه باعتباره تقليدا من التقاليد الموروثة وعيدا من الاعياد المقررة ، فيتمتعون فيه بنعيم العيش يتفننون في الطعام والشراب ، ويتأنقون في الزينة والثياب ، ويتدفقون في الأنس واللهو ، ويسرفون على بطونهم بالاكل حتى تمرض ، وعلى جيوبهم بالبذل حتى تفرغ ، وينفقون على هذا الشهر وحده ما يكاد يقرب من نفقة العام كله ! وفي الافراط في اللهو والاكل والنوم ، تضيع حكمة الله من فريضة الصوم .

***

اما الشيطان الرجيم فيستقبل في رمضان حصنا من الخير لا يدخله الشر ولا تقتحمه الرذيلة، فاذا حاول أن يدنو منه رده الذكر بالنهار وصده القرآن بالليل ودوى في مسمعه النادي قول الله تعالى له : «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين» .. فيظل كما يعتقد القرويون مصفدا في الاغلال مقيدا بالسلاسل حتى ينطلق من اساره في آخر يوم من أيام رمضان .

وأما الخمار أو صاحب القهوة فانه يستقبل في رمضان الكساد المحزن ، لان القهوة في النهار يكثر فيها الجلوس ويقل الطلب ، والحان في الليل تهجره الكئوس ويفارقه الطرب ، ورمضان هو المسئول لان السكير في رمضان لايشرب ، والمقامر في رمضان لايلعب .. وصاحب القهوة مضطر بحكم الصنعة ان يقدم الى الصائمين أدوات التسلية بالمجان حتى المغرب وأن يقدم الى المفطرين أكواب الماء المثلوج طول السهرة حتى السحر !

اما رمضان القرية فلا يزال يحل من أهلها محل النور في العين والبهجة في القلب ، تجسمت في خواطرهم صورته حتى جعلوه رجلا له حياته وعمره وأجله ، يذكرونه على شهرين من مقدمه فيحسبون حسابه ويهيئون أسبابه ، حتى اذا دب اليهم من غيوب الآباد سلسلت الشياطين وأرسلت الملائكة وعبطت الارواح ودرت أخلاف الخير واغدودقت أصول النعم .

هنالك يملك القرية شعور نقي هادىء خاشع فلا تعود تسمع لغوا في حديث ولا عنفا في جدل ولا بغيا في خصومة ، فاذا أذهل أحدهم الغضب فرفع صوته ندم عجلان واستغفر ثم قال : اللهم انى صائم . ذلك لان رمضان يرجع الفلاح نقيا كقطرة المزن ، طاهرا كفطرة الوليد ، فلا يقتل ولا يسرق ولا يشهد الزور ولا يقول الفحش ولا يأتي المنكر .

***

وما أجمل أن ترى فاتك الامس ناسك اليوم .. يمشي من البيت الى المسجد في ثوبه النظيف وئيد

من أسوان

للدكتور محمد أحمد خلف الله

وفى أسوان أقيم أسبوع الكتاب العربى — أقيم فيه معرض للكتاب ، وأقيمت فيه ندوات ثقافية ·

وأسبوع الكتاب فى اسوان يختلف عنه فى أى بلد أقيم فيه من قبل ، يختلف عنه فى مصر ، ويختلف عنه فى الاسكندرية ، ويختلف عنه فى بورسعيد يختلف فيما يخص المعرض ويختلف فيما يخص الندوات الثقافية · والاسباب فى ذلك يسيرة ويرد معظمها الى ظروف البيئة والى بعض الظواهر الاجتماعية ·

ان أسوان عاصمة لاقليم وليست مدينة مستقلة بنفسها كما هو الحال فى كل من مصر والاسكندرية وبور سعيد · ثم هى عاصمة لاقليم فى أقصى الجنوب وليست تملك من وسائل الترفيه والتثقيف ومن وسائل الاكتفاء الذاتى ما تملك المدن الكبرى السابقة · لذا لم يكد معرض الكتاب يقام ويعلن عن تخفيض أثمان الكتب حتى أقبل الناس على الشراء اقبالا عظيما ·

لقد أثبت أسبوع الكتاب فى أسوان ان مستقبل الكتاب لا يزال بخير · وأن الكتاب لا يزال المصدر الثقافى الأول لكل معرفة يريدها الانسان · وأن أجهزة الثقافة الاخرى لم تستطع ان تصرف الناس عنه ، وأن المشتغلين بالتثقيف ، فى أى جهاز من أجهزته ، لاغناء لهم عن الكتاب بحال من الأحوال · من الاستاذ الجامعى الى الكاتب الصحفى ، ومن الاذاعى الى الممثل المسرحى والمخرج السينمائى وما اشبه · ان كل هؤلاء لاغنى لهم عن الكتاب والا كانت ثقافتهم سطحية لا تصل منهم ، ولا من الناس الى الأعماق — والثقافة حين تكون سطحية لا تؤثر فى حياة الناس الأثر المطلوب · انها لا تخلق القيم الدافعة التى تؤثر فى سلوك الناس وفهمهم للحياة ، ومن هنا يظلون كما هم جهلة متخلفين لايدركون من أمور الحياة ولا من أمور انفسهم شيئا ·

الخطو غضيض الطرف ، لا تترك المسبحة يده ، ولا يفتر عن التسبيح لسانه ، فاذا قابل القروية الجميلة وعلى رأسها الجرة اتحد جمالها فى عينه بجمال الخير فى نفسه ، فأمعن فى التسبيح واستغرق فى الله ؛ لان ابليس فى رمضان سجين وباب الغواية مغلق ·

يقضون صدر النهار فى تصريف أمور العيش ، ثم يجلسون على المصاطب فى أشعة الاصيل الدافئة يستمعون القصص أو الوعظ حتى اذا مالت الشمس الى الغروب جلسوا فى الطريق أمام بيوتهم ، فمدوا الموائد على الارض المفروشة بالحصير ودعوا اليها عابرى السبيل وطالبى الصدقة ، ثم لايلبث الاخاء المحض أن يجعل الموائد المتعددة مائدة واحدة يصيب منها من يشاء مايشاء ·

أما ليلهم فاجتماع للقرآن واستقبال للاخوان ومسامرة مشتركة ساذجة تجمع أفنانا شتى من شهى الحديث ، وكلما تقضى نهار من رمضان تغضن سرار من وجوه القوم · حتى اذا لم يبق الا ربعيه الاخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت فندبوه فى البيوت والمساجد ، ورثوه على السطوح والمآذن ، وبكوه يوم (الجمعة اليتيمة) أحر بكاء ·

فاذا كان المغرب الاخير ولم يبق من رمضان الا بقية روح ، خامرهم الخوف من انطلاق الشياطين السجينة فيجلس الصبيان على أبواب الحجرات يكررون البسملة ويضربون حديدا بحديد ، ليحفظوا البيت من دخول شيطان مريد ·

***

ذلك رمضان كما تدركه الفطر السليمة والقلوب المؤمنة ·· وهو وحده الباقى لفلاحنا من غفلات العيش **ولحظات السعادة** ، فليت شعرى أباق هو فى القرية على عهدى به أم أدركه ما أدرك رمضان المدينة من شر العلم الجاهل والدين الكاذب والتقليد الأعمى والتمدن المشوه ، ففقد هذه الروحية التى تتجلى فى الصوم ، وتلك الغيرية التى تتمثل فى الصائم ·

أحمد حسن الزيات

وأثبت أسبوع الكتاب فى أسوان شيئا آخر هو أن الناس تقبل على الكتب التى ترى أنها فى حاجة اليها بصرف النظر عن قيمة الكتاب وارتفاع الأثمان ·

ان هذه الظاهرة جديرة بأن نقف عندها لانها التى تملى علينا الموضوعات التى يجب ان تهتم بها ونؤلف فيها ، ان قيمة الكتاب عند هؤلاء الناس تقدر بما فيه من مواد ثقافية حية يشعر الناس بأنهم فى حاجة اليها ، ولا تقدر ابدا بثمنه مهما انخفض ، وهذا يدفعنا فيما نعتقد الى أن ندعو دعوة صادقة مخلصة بالاهتمام بالمواد الثقافية المختارة لهؤلاء الناس أو المنتقاة لهم ·

ان الاعتماد على احتياجات الناس الثقافية فى انتقاء الموضوعات ، والتأليف فيها بأسلوب يلائمهم هو الذى يخلق الى جانب السعر المنخفض ثقافة حية ملائمة لظروف الحياة عندنا ، ثقافة يمكن أن نسميها بحق بالثقافة الاشتراكية ·

وقد أثبت اسبوع الكتاب ايضا أن تصريف الكتاب يتوقف الى حد كبير على حسن توزيعه ·

ان كل المشتغلين بتصريف المنتجات يفكرون أول مايفكرون فى سبيل ايصالها الى المستهلك فى أى مكان يكون ، وهذه الحقيقة قد غابت عن عقول المنتجين للكتاب ، وأهملها الناشرون للكتاب ، ثم راحوا بعد ذلك يتحدثون عن أن الكتاب فى أزمة ·

لقد رحل الكتاب الى اسوان فأقبل الناس عليه ، وأبطلوا بذلك دعوى الناشرين الذين يحمون أنفسهم بالقول بأن الكتاب فى أزمة · ولقد طالب الناس هنالك بفتح مكتبة تبيع الكتب للقراء ، واستجابت وزارة الثقافة ، وقامت الدار القومية بفتح فرع لها هناك فى السوق السياحى الذى افتتحه الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى منذ أيام ··

اما الندوات الثقافية فقد كان لها شأن آخر يرجع هو الآخر الى البيئة الأسوانية والى الظواهر الاجتماعية ·

ان أسوان تشهد اليوم تحولات حضارية خطيرة فى كل مرفق من مرافقها ، وفى كل جانب من جوانب الحياة فيها · انها تتحول الى مدينة صناعية يكثر عدد العمال فيها ، ومدينة سياحية يكثر ارتحال الاجانب اليها ونزولهم فيها ، وهذا كله يدفع الى ارتقاء الحياة وأخذ الناس بالاساليب الحديثة ·

ظاهرة التحول هذه لم تستكمل كل مقوماتها بعد ومن هنا رأينا المجتمع فى أسوان مجتمعات متفرقة لامجتمعا واحدا ، فهناك المجتمع الخاص المستقل للذين يعملون فى بناء السد العالى من عمال أو مهندسين وموظفين ، وهناك المجتمع الخاص المستقل بالذين يعملون فى شركة كيما للسماد ، وهناك المجتمع الخاص باستخراج الحديد الخام ، وهناك المجتمع الخاص بموظفى الرى والمهندسين الذين يعملون فى الخزان حتى ليسمى الاهالى المنطقة بمستعمرة الخزان ·

ان الذين يعملون مع الاهالى ويكونون معهم مجتمعا واحدا هم رجال وزارة التربية ووزارة الصحة والذين كانوا يعملون من قبل ، أى من قبل ان تنشأ هذه الوحدات الاجتماعية الجديدة التى يسميها الناس بالمستعمرات ·

هذه الظاهرة كانت لها نتائجها أيضا فى الميدان الثقافى ، فهناك أيضا وحدات ثقافية مستقلة ظهرت آثارها فى التقاء القارئين بالمؤلفين ، وجعلت الاسئلة الموجهة الى مؤلفى الكتب متفاوتة فى المستوى الثقافى تفاوتا عظيما ·

والسؤال الذى تردد كثيرا من الاهالى ، بمناسبة ومن غير مناسبة ، هو الذى يتعلق بالاستاذ العقاد ، فقد سالوا عنه كاتبا ، وشاعرا ، وناقدا ، وقصاصا ، ومؤرخا ، وحكيما فيلسوفا · ولقد أرضى الدكتور زكى نجيب محمود السائلين ، كما أرضى نفسه ، حين تحدث عن العقاد هذا الحديث الممتع الذى ألم بكل جانب من جوانب العقاد والذى وضع العقاد فى موضعه الصحيح من قادة الفكر فى جيلنا هذا ·

ان أهالى أسوان يعتزون بالاستاذ العقاد اعتزازهم بمجد قومى حققته بلدتهم ــ أسوان · ويرون فيه

علما من أعلام الامة العربية يستضاء به في كل جانب من جوانب الوطن العربى ، ولهم الحق كل الحق فى هذا الاعتزاز ، فالاستاذ العقاد كاتب له موقف من الحياة ، موقف يتفق ومذهب الاستاذ العقاد فى الحياة ، موقف لم يتغير ولم يتبدل ، ومن هنا لم يحشر الاستاذ العقاد فى موكب النفاق فى أى يوم من الايام .

والسؤال الذى يشغل بال الاهالى هو ذلك الذى يتعلق بمصير العمال فى سد اسوان ، ويظهر ان ادارة المشروع تساعد كثيرا على البلبلة التى تصيب اذهان الاهالى من جراء مستقبل هؤلاء العمال . انها تعلق لافتة تكتب عليها كل يوم عدد الايام الباقية على تنفيذ المشروع وفتح أبواب المياه ، ان ادارة المشروع انما تقصد الى أن تحث العمال حتى يتم المشروع فى الموعد المضروب له ، ولكن العمال لايلتفتون الى هذا بقدر التفاتهم الى مصيرهم .

ان عدد الايام الباقية معناه فى عرفهم التخلص منهم ، لذا يجب على ادارة المشروع ان تلفت أذهانهم الى ان الدولة بحاجة اليهم فى مشروعات أخرى ، ولا باس من ان تذكر الادارة اسماء بعض المشروعات الاخرى التى يصير اليها مستقبل هؤلاء العمال .

ونختتم هذا المقال بهذه العبارات التى تتفق واهداف أسبوع الكتاب وندواته الثقافية .

ان سبيل المجتمع العربى الأفضل هو الثقافة ، الثقافة المبثة فى صفوف الشعب ، المتجاوبة وحاجات المجتمع ، القائمة على احترام الحقيقة ، المتاصلة فى ماضيها الايجابى ، المشاركة فى الحضارة الانسانية ، المعطية لهذه الحضارة .

بهذا النوع من الثقافة الحية الفعالة يتكون المجتمع العربى الحى الفعال . المجتمع العربى القادر على البقاء ، الحرى بالبقاء ، الباقى فعلا فى الارشاد الانسانى المشترك .

المجتمع العربى الافضل .

دكتور
محمد أحمد خلف الله

كلمات

من حق الثقافة على المثقفين الجد فى طلبها والسعى الحقيقى لاستكمالها .

هذه حقيقة اولية تغيب عن ذهن مدعى الثقافة عندنا . ماأشد كسلهم وما أرخص الوقت عندهم ، فى حين ان الثقافة تتطلب الجد المستمر والجهاد العقلى الدائم لتظل حية نامية ..

وقديما كان العلماء العرب يضربون فى الآفاق ويقومون بالرحلات الطويلة المضنية طلبا للعلم .

يروى عن الخطيب التبريزى انه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة لابى منصور الازهرى فى عدة مجلدات لطاف واراد تحقيق مافيها واخذها عن رجل عالم باللغة – فدل على المعرى فجعل الكتاب فى مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ولم يكن معه مايستاجر به مركوبا .. فنفذ العرق من ظهره اليها .. فأثر فيها البلل واذا رآها من لايعرف صورة الحال فيها ظن انها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور .

أين نحن من هذا السعى وأمثاله من وجوه الجد والتضحية التى تذخر بها سير الآباء .؟

وأين نحن مما نعرف من صبر علماء الغرب وثباتهم والحاحهم فى سبيل غاياتهم ؟

حقا ان ثقافة اية امة هى خلاصة سير مثقفيها ، ونتاج اخلاصهم وتشوقهم لرؤية الحق والاغتباط به ، مهما كلفهم ذلك من العناء ومجاهدة النفس .

أبو حيان التوحيدى

عالم النفس

ليس اسم ابى حيان التوحيدى غريبا على عارق التراث العربى : فان صاحبه قد اشتهر بثقافته الادبية الواسعة ، ودراساته النحوية العميقة ، وبحوثه الفقهية الممتازة ، وآرائه الفلسفية النفاذة ، وتاملاته الصوفية المشرقة ... الخ . ولكن الكثيرين منا قد لايعلمون ان التوحيدى ايضا عالم نفسانى مدقق ، تمرس بأحوال الناس ، ووقف على امور معاشهم ، وادرك حقيقة نوازعهم ، فاستطاع ان يقدم لنا فى ثنايا رسائله ومؤلفاته الكثير من الملاحظات السيكولوجية الهامة التى لم يعرفها العالم الا بعد ظهور علم النفس الحديث . ولسنا نزعم ان ابا حيان قد سبق فرويد وادلر و يونج الى الكشف عن حقيقة اللاشعور ، والاهتداء الى طبيعة العقد النفسية ، والتعرف على اساليب العلاج النفسانى ، وانما كل ما نحن حريصون على تقريره هو ان هذا المفكر العربى الكبير قد فطن الى الكثير من الحقائق النفسية الاساسية التى تضعه فى الصف الاول بين الفلاسفة النفسانيين الذين اهتموا بتعمق اسرار النفس البشرية .

وقد عاش التوحيدى قرابة تسعين عاما ، كما زار كثيرا من بلدان العالم العربى ، فاستطاع ان يكون كثيرا من الصلات ، كما تمكن من التردد على الكثير من المجتمعات . وقد اكسبته هذه الحياة الخصبة الطويلة خبرة واسعة بأمور الناس وطبائع النفوس ، فجاءت كتبه الفلسفية والاخلاقية شاهدة على حسن فهمه للطبيعة البشرية ، ناطقة بمقدرته الهائلة على النفاذ الى اعماق النفس الانسانية . فالتوحيدى – مثلا – يعرف ان الناس يذمون البخل مع غلبة البخل عليهم ، ويمتدحون الجود مع قلة ذلك فيهم ، وهو يعلم أن الانسان حريص على ما منع ، وان الرخيص مرغوب عنه ، والغالى مرغوب فيه .. الخ . وهو يروى فى كتابه « الذخائر والبصائر » نقلا عن الحسن البصرى ان « ذم الرجل نفسه فى العلانية مدح لها فى السر » ، كما انه يلاحظ ان الشرير يؤثر فى الخير بأسرع مما يؤثر الخير فى الشرير ، ويتعجب كيف ان الانسان قد يستشعر الخوف بلا مخيف ... الخ . وكل هذه الملاحظات – وغيرها كثير – دليل ناطق على دقة ملاحظته لسلوك الناس ، وشدة ولعه بتامل احوال البشر . وحسبنا ان نرجع الى كتاب التوحيدى المسمى باسم « الهوامل والشوامل » ، لكى نقف على تلك الاسئلة السيكولوجية العديدة التى عنى ابو حيان بتوجيهها الى صديقه الفيلسوف مسكويه ، طالبا اليه التفضل بالرد عليها .. ففى هذا الكتاب نراه مثلا يسائل صديقه مسكويه عن السر فى سهولة تكوين الاعداء وصعوبة اكتساب الاصدقاء ، كما نراه يسأله عن السبب فى محبة الناس للرياسة وحرصهم عليها ، وعن السبب فى سهولة زعزعة اليقين وصعوبة القضاء على الشك ، وعن السر فى ضيق الانسان بالراحة اذا توالت عليه ، وبالنعمة اذا حالفته .. الى آخر تلك الاسئلة العديدة التى اثارها التوحيدى ، وحاول مسكويه الرد عليها . ولكن المهم ان المشكلات التى عنى بها ابو حيان باثارتها هى – فى الغالب – مسائل نفسية واخلاقية هامة تدلنا على عمق فهم التوحيدى للناس ، وحسن ادراكه لطبائع البشر ، وقوة بصيرته فى الحكم على مبررات الافعال الانسانية .

والحق ان ابا حيان الذى عاشر طوائف مختلفة من الناس ، وتردد على اشكال متباينة من المجتمعات ، قد وجد نفسه مدفوعا بحكم خبراته البشرية الطويلة الى الكلام فى النفس الانسانية ، وتصرفاتها الخارجية ، وامراضها الباطنية ، وعلاجها النفسى ، وصلة العقل بالجنون ، ومبدأ التعويض ، ودعائم الصحة النفسية ... الخ . ولئن كانت بعض مصطلحات ابى حيان قد تختلف عن الاصطلاحات السيكولوجية الحديثة ، الا انها لا تكاد تختلف عنها كثيرا من حيث المعنى او المضمون . فالتوحيدى مثلا يقرر بصريح العبارة فى احد المواضيع ان « للنفس امراضا كامراض البدن ، الا ان فضل

امراض النفس على امراض البدن في الشر والضرر تفضـــل النفس على البـــدن في الخير » . بينما نراه يروى لنا في موضع آخـر بعض مظاهر هـذا السلوك المرضى ، فيحدثنا عن رجل ازهق روحـه بيده ، ويفسر لنـا واقعة انتحـاره بأنهـا نتيجة لاصابته بمـرض نفسـانى . ولا يغيب عن ذهـن التوحيدى ان هذه الامراض النفسـانية وليدة تعقد اسباب الحياة في المجتمعات المتحضرة ، فنراه يشير في كتابه « الهوامل والشوامل » (ص ٢١٠) الى توازى الالم مع التحضر ، والفرح مع البـدالية ، وكأنما هو يريد ان يرجع الجانب الاكبر من الشرور التى ترزح تحتهـا النفس البشرية الى تلك الآلام المتنوعة التى تقترن بها الحياة المتحضرة في المجتمعات المترفية . وعلى الرغم من ان التوحيدى يعلم تمام العلم اننا كثيرا ما نميل الى كتمان اسرارنا ، والعمل على استبقائها مكنونة في صدورنا ، الا اننـا نراه يلاحظ في الوقت نفسـه ان كل سر يميل الى الظهور ، وان صـاحب السر نفسه قلما يقوى على كتمانه حتى النهاية . وهو يعبر عن هـذا المعنى الدقيق بعبارته الجزلة فيقول : « ان الخواطر والسوانح ، على لطفها ودقتها ، وشدة حقائقها ، وعموم مشاربها ، تبدو وتظهر ، وتقوى وتكثر ، حتى يعـرف فيهـا الشيء بعـد الشيء ، باللحظة والسـحنة والتلفت وضروب اشكال الوجه ، فكيف ما ابتذله اللسان ، ونسجته العبـارة ، وظعن من مكان الى مكان ؟ » (« المقابسات » ، رقم ٧ ، ص ١٤٦) . وكان التوحيدى يريد ان يقول ان الوقائع النفسية لا يمكن ان تظل احداثا مطوية في ثنايا شعورنا ، بل هى لا بد من ان تستحيل الى ظواهـر خارجيـة ، عن طريق التعبير اللغوى والسلوك الحركى ، فتصبح ظواهر موضـوعيـة تصلح للمعالجـة العلميـة . والتوحيدى هنا يكشف عن عقلية سيكولوجية ممتازة ، لانه يفهـم ان الظاهرة النفسيـة لا تبقى مكنونة في في طوايا النفس ، بل هى تظهر في العالم الخارجى على شكل تغير يلحق السلوك .

واذا كان علم النفس الحديث قد اثبت انه ليس ثمة شخص سوى او طبيعى بمعنى الكلمة ، وان الانحـراف النفسى يكاد يكون ظاهرة شـائعة بين الغالبية العظمى من الناس ، فان التوحيدى ايضا يحدثنا في مقابسـاته عن الطابع النسبى الذى يتميز به «العقل» لدى البشر ، فيقـول : « ان العقل بأسره لا يوجد في شخص انسى ، وانما يوجد منـه قسط بالاكثر والاقل ، والأشد والاضعف .. » (مقابسة رقـم ٥٤ ، ص ٢٣٤) . ثم يستطرد أبو حيان فيقول ، انه قد تسمع من المجنون الحكمة بعد الحكمة .. ولكن المجنون بقـدر ما بدر منـه لا يكون عاقلا ، والعاقل بقدر ما بدر منه لا يكون مجنونا » (المقابسـات ، ص ٢٣٧) . والظاهر ان التوحيدى قد اخذ هذه الفكرة عن احد الفلاسفة المعاصرين له ، فاننا نراه ينسب الى ابن زرعة انه قال : « ان المجنون مشـارك للعاقل في الجنس ، فاذا كان من العاقل ما يحسب ان يكون من المجنون كره ذلك له ، واذا كان من المجنون ما يعهـد من العاقل تعجب منـه . والعقل بين اصـحابه ذو عرض واسع ، وبقـدر ذلك يتفاضلون التفاضـل الذى لا سـبيل الى حصره . وكذلك الجنون بين اهله ذو عرض واسـع ، وبحسب ذلك يتفاوتون التفـاوت الذى لا مطمع في تحصيله . وكما أنه قد يبدر من العاقل بعض ما لا يتوقع الا من المجنون ، كذلك قد يبدر من المجنون بعض ما لا يتوقع الا من العاقل ، ولا يعتد بذلك ولا بهذا ، اعنى ان العاقل بذلك المقدار لا يرى مجنونا ، والمجنون بذلك المقدار لا يسـمى عاقلا . ، ولكن التوحيـدى لا يقف عند حد القول بوجود امتزاج او اختلاط بين العقل والجنون ، بل هو يفسر العقل بسيادة مبدا الوحدة على الكثرة او التعدد ، كما يفسر الجنون بسيادة مظاهر التعـدد او الكثرة على مبـدا الوحـدة او التكامل . واذا كانت الغالبية العظمى من النـاس لا تكاد تتمتع باى تكامل نفسى ، فذلك لان الكثرة توزعها ، والاهـواء تتقاسـمها ، دون ان يكون في وسعها الامساك بزمام نفسـها . ولا غـرو ، فان « الانسـان وان كان واحدا بوجه ، فانه كثير بوجه آخـر .. » وهـذه الكثرة التى توزعه هى التى تحول بينه وبين الثبات على حال ، او الوصـول

الى أى استقرار . ولهذا يقول التوحيدى ان الانسان في تغير مستمر ، وهو لا يكاد يتلاءم مع نفسه مطلقا . (« المقابسات ص ٣٦٠) . وربما كان الاصل فى معظم الامراض النفسية التى يقع الناس ضحية لها، أن الانسان قلما ينجح فى الاتساق مع نفسه ، بحيث تتحقق فى باطنه تلك الوحدة الضرورية لكل اتزان نفسانى .

واذا كان علماء النفس المعاصرون يتحدثون اليوم بكثرة عن « الصحة النفسية » ، فاننا نجد لدى التوحيدى اهتماما كبيرا بالحديث عما سماه باسم « شفاء النفس » ، فنراه يقرر فى أحد المواضع بصريح العبارة انه لا نجاة للنفس الانسانية الا بتوافق الظاهر والباطن ، وتلاؤم الشكل والحال ، وتكامل الفعل والانفعال ... الخ . والتوحيدى لا يفصل النفس عن البدن ، بل هو يؤكد أن سلامة النفس من سلامة البدن ، وان تحقق « التكامل النفسى » لا يمكن أن يتم الا فى داخل جهاز عضوى متزن . وحينما يتحدث التوحيدى عن «السكينة» فانه يشير بهذا اللفظ الى ما اصبحنا نطلق عليه اليوم اسم « التوافق النفسى » ، أو « التكامل النفسى » . وهو يشرح لنا هذه الحالة النفسية المتزنة التى تقوم على التكيف والانسجام بين سائر قوى النفس ، فنراه يقول : « انما يشع من هذه السكينة على قدر ما استودع صاحبها من نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختيار ، واعتدال الافعال ، وصلاح العادة ، وصحة الفكرة ، وصواب القول ، وطهارة السر ومساواته للعلانية ، وغلبته بالتوحد ، وانتظام كل صادر منه ووارد اليه » . (« الامتاع والمؤانسة» ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٨) . وكل هذه العبارات انما تدلنا على ان التوحيدى قد فطن الى ان الدعامة الاولى للصحة النفسية انما هى الاتزان العاطفى ، وتوافق الظاهر مع الباطن ، وتحقق ضرب من الانتظام العضوى فى صميم بناء الشخصية. ولعل هذا هو السبب فى ايمان التوحيدى بضرورة تحقيق شفاء النفس « من الداخل » ، ما دامت الاضطرابات الباطنية العميقة هى الاصل فى كل انحراف قد يطرا على السلوك . وهذا ما عبر عنه ابو حيان بقوله : « اعلم فى الجملة انك داؤك ، ولكن فيك دواؤك ، فاذا تسلط داؤك على دوائك غار داؤك بدوائك ... الخ » (« المقابسات » ص ٢٥١) .

تلك هى اهم الافكار السيكولوجية التى قدمها لنا ابو حيان التوحيدى فى تضاعيف دراساته الفلسفية . ولئن كنا قد ضربنا صفحا عن الكثير من ملاحظات ابى حيان فى مواضيع سيكلوجية اخرى عديدة ، كالعادة ، والانفعال ، والعاطفة ، والاحساس ، والتعويض ، والادراك الجمالى ، والتذوق الفنى ... الخ ، الا اننا ندعو القارىء الراغب فى الاستزادة من البحث الى الاطلاع على مؤلفات التوحيدى نفسها ، فانه لا شك واجد فيها الكثير من الملاحظات السيكولوجية القيمة . وكم كنا نود ان نضع بين يدى القارىء بعض النماذج الرائعة لتحليلات التوحيدى النفسانية العميقة ، خصوصا فى « الاشارات الالهية » حيث نراه يعبر عن معانى « الاغتراب عن الذات » بأسلوب مشرق نفاذ ، ولكننا لا نستطيع — مع الاسف — فى هذه العجالة (القصيرة) أن نأتى على كل تلك النصوص واذن فحسبنا ان نقول ان فى تراثنا العربى صفحات خالدة فى علم النفس ما أحرانا بالعودة اليها والاهتمام بها والعمل على دراستها . واذا كان الباحثون فى علم النفس عندنا قد جهلوا حتى الآن معظم ماكتبه العرب فى هذا المضمار، فقد أصبح لزاما علينا اليوم ان نعمل على تعريف شبابنا بالانتاج الفكرى الهائل الذى خلفه لنا فلاسفة العرب فى مضمار الدراسات النفسية ، والاخلاقية ، والتربوية ... الخ وعسى ان تلقى كلمتنا هذه استجابة سريعة من جانب المشتغلين بأمثال هذه الدراسات عندنا فى شتى الجامعات العربية وغيرها ...

دكتور
زكريا ابراهيم

صفحة من تاريخنا العربي

الإسلام والمسيحية يلتقيان

بقلم : محمود الشرقاوي

كانت زيارة الحبر الاعظم بابا روما ورأس العالم المسيحي الغربي للبلاد المقدسة في فلسطين مطلع هذا العام ، وكانت بعض تصريحاته وتلميحاته عن القربى او التقارب بين الاسلام والمسيحية في عالمنا المعاصر تذكيرا لمن يتذكر بما كان للاسلام والعرب من تقدير لمشاعر المسيحيين وسماحة وكرم في معاملتهم حين فتحوا بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب فترك لهم كنيسة القيامة ، واقام الى جوارها مسجدا على صخرة يعقوب . وحين استردوها على يد البطل صلاح الدين . وهذه صورة عرضها فاوفى واحسن واجاد أستاذنا الزيات في « الرسالة » في اسبوع قريب .

وفي تاريخنا العربي صورة أخرى عملية واقعية رائعة كريمة لحياة طيبة عاشها أهل وطننا العربي في تناسق وانسجام وتعاطف وحسن ادراك ، حيث كانوا يعيشون متجاورين متحابين لايشعر فريق منهم نحو الآخر الا باكرم ما يحس به الأخ لأخيه من الود وحسن الجوار وكرم المعاشرة . كما هي المسيحية الحقة، وكما يأمر الاسلام السمح : لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ما داموا يلتزمون الحق ويخضعون للقانون .

ونجد في رحلة « ابن جبير » الأندلسي ، التي قام بها في بلاد الشرق العربي في الربع الأخير من القرن السادس الهجري : (الحادي عشر ميلادي) ، سجلا رائعا لهذه الاواصر المتينة وروابط الحب والمودة التي جمعت بين المسلمين والنصارى في بلادنا العربية" وتلك الحياة المثالية التي عاشها أصحاب الديانات على الصفاء في عصر كانت الخصومات والاحقاد هي التي تسيطر فيه على عواطف أهل الغرب الصليبي وقلوبهم ، وتسير جحافلهم كقطع السحاب ليعتدوا على وطننا العربي يريدون تخريبه واستعباده ، وعلى ديننا الاسلامي يحلمون بمحوه واطفاء نوره ، توجههم أو تسوقهم الى ذلك تلك الصيحات المجنونة الحمقاء التي كان يصيحها بطرس الراهب ، والمطامع والشهوات والدسائس الخسيسة التي كان يدبرها ملوك أوربا وأمراؤها المتعصبون الطامعون .

وهذه صورة مما سجل ابن جبير عن حياة المسلمين والنصارى في بلادنا العربية كما شهدها بينهم .

ثلاثة مجتمعات مختلطة من المسلمين والنصارى وصف حياتها ابن جبير حين زار سوريا ولبنان وبعض جزر البحر الابيض المتوسط ، ومن وصفه هذا ندرك قوة تلك الوشائج المتمكنة العريقة التي جمعت ووحدت بين سكان هذه المنطقة : المجتمع الاول كان مشتركا بين المسلمين والنصارى من أهل المنطقة أنفسهم . والثاني كان مشتركا بين المسلمين والمسيحيين الذين وفدوا مع رجال الحرب الاوربيين في الحروب الصليبية . والمجتمع الثالث كان مسيحيا كله ، اتصل به ابن جبير بطريق المصادفة في أثناء رحلته فسجل فيها بعض المظاهر الشائقة لهذا المجتمع .

وهناك ظاهرة نريد أن نسجلها قبل أن نعرض هذه الصفحة من ابن جبير في وصف هذه المجتمعات هذه الظاهرة هي الكثرة التي نجدها ـ وأخشى أن أقول الاسراف ـ في ذكر الازهار والغصون والشموع ووصفها بافاضة وتفصيل فيما تحدث به ابن جبير يصف فيه حياة الناس في تلك البلاد ، بما يدل على ما كان للغصون والشموع والازهار من أثر في حياتهم ، كثرة وحبا واستعمالا ، فهو يذكر ما يرفع منها للزينة في الحفلات والكنائس ومايضاء من الشموع فيها وفي المساجد أيضا . وقد وصف حفلا أقيم في مسجد كبير فقال ان ثريا عظيمة من الشموع أقيمت فيه على هيئة الاغصان وثمار الفاكهة ، ودقت مسامير الحديد في المحراب كله و « غرزت » في المسامير الشموع الكثيرة ، فلما اضيئت كان من يقف على المنبر لا يستطيع ان يرفع بصره ولا أن يرى الناس امامه في ضوء هذه الشموع وسطوع نورها أمام عينيه . وكان هذا الحفل في رمضان .

نصارى الشرق والمسلمون

يصف ابن جبير المجتمع الاول ـ المختلط من المسلمين ونصارى الشرق ـ بكل ما يمكن أن يوصف به مجتمع من التناسق واليسر والمودة ، بل المحبة ، فيقول أن من يقصد الشرق ـ وكان حديثه عن سوريا

ولبنان ـ يجد جميع البلاد والقرى تفتح له ابوابها، وتستضيفه ، وتكرمه حتى يطيب عيشه وينعم بالحياة الرخية مهما اقام فيها واطال من الزمن . وأن نصارى لبنان : (اذا رأوا به ـ اى بالجبل ـ أحد الزهاد المنقطعين المتعبدين جلبوا له القوت ، واحسنوا اليه ويفرحون قائلين : ان هؤلاء القوم من عباد الله الذين انقطعوا له، فنحن نحب أن نكرمهم ونعينهم على العبادة. فاذا أراد هذا الغريب أن يرحل عن المدينة أو القرية بعد طول الاقامة فيها وودعه أهلها أكرم وداع ، انتقل الى أخرى فتلقاه أهلها بكل ترحيب ، ولقى منهم مثل ما لقى من القرى الاخرى فيقيم بين أهلها يعمل أى عمل يحسنه أو يريده).

مسجد نصفه كنيسة :

ووصف ابن جبير وصفا مؤثرا مظهرا من أعمق مظاهر التفاهم والود والصفاء والمحبة بين المسلمين والنصارى في سوريا ، قال انه شاهد في « عكا » مسجدها الكبير قد جعل قسم منه كنيسة . ففي مكان واحد كان يقوم محرابان ، واحد للمسلمين والثاني للمسيحيين ، ثم يقول : (... فالمسلم والنصراني يجتمعان فيه، يستقبل هذا مصلاه وهذا مصلاه .) وكان الموضع كله ، مسجدا وكنيسة ، في رعاية النصارى وهو : « معظم محفوظ » كما يقول .

ونستطيع أن ندرك من هذا الوصف المدى البعيد لما كان يسود هذا المجتمع المختلط من مشاعر التصافي والمسالمة والتسامح والحب بين المسلمين والنصارى من أهل وطننا العربي . ونستطيع أن ندرك أيضا ، من هذه الكلمات النابضة المؤثرة التي وصف بها ابن جبير هذا المشهد ، أثر هذه الروح السمحة الخيرة في نفسه .

ويذكر ابن جبير أنه زار بلادا في سوريا كانت أكثرية سكانها من المسيحيين وكان من يقيم بينهم من المسلمين يعيش في أمن واطمئنان : (على حالة من الترفيه) قد لا يجدها غيرهم في بلاد أخرى : (مساكنهم بأيديهم وجميع أحوالهم متروكة لهم) . وبساتينهم وقراهم ومزارعهم وضياعهم لا يتعرض لها أحد . كما لا يتعرض أحد لشئون العقيدة التي يعتقدونها أو العبادة التي يؤدونها . وقال انه زار ضيعة قريبة من « عكا » كانت أغلبية أهلها من النصارى ، ولكن « ناظر » الضيعة كان من المسلمين وكان ابن جبير حين زار هذه الضيعة يسير في قافلة كبيرة من المسلمين ، فاستضافهم «الناظر» جميعا واكرمهم أعظم اكرام وكرمهم أبلغ تكريم واحضرهم صغيرا وكبيرا في غرفة واسعة بمنزله واحضر لهم الوانا من الطعام فشملهم بكرمه . وكان معهم ابن جبير . ثم انتقل بعد ذلك وصحبه الى « بانياس » (برفق وتؤدة) كما يقول ، فنزل في بيت استأجره من سيدة نصرانية .

في جزيرة صقلية :

وقد زار ابن جبير جزيرة صقلية ووصف حياة المسلمين والنصارى فيها ، فذكر كنائسها الفخمة الرائعة وما فيها من الصلبان الذهبية . وذكر مساجد المسلمين الى جوارها وأنهم يذهبون اليها يصلون ويقيمون شعائر دينهم، وكان حاكم الجزيرة مسيحيا يعرف اللغة العربية ويتكلمها . (يقيمون الصلاة بأذان مسموع ولهم أحياء قد انفردوا بسكناها عن النصارى والاسواق معمورة بهم وهم أصحاب التجارة فيها ، ويدعون في صلاة العيد لخليفة المسلمين العباسي .) ولهم قاض يحكم بينهم على شريعة الاسلام . ولهم مساجد كثيرة يحفظ فيها صبيانهم القرآن .

وكانت زيارة ابن جبير لصقلية في شهر رمضان فوصف الشعائر الاسلامية التي كان يباشرها مسلموها . وجاء عيد الميلاد في الوقت نفسه ، فوصف احتفال المسيحيين به وصفا شائقا يقول فيه ان الرجال والنساء والصبيان كانوا يشتركون فيه في أبهى زينتهم وأجمل ثيابهم . وكانت نساء المسيحيين يلبسن مثل نساء المسلمين ويضعن على وجوههن النقاب ، ويتحدثن العربية . (ويبرزن لكنائسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتعطر والتخضب) .

زفاف مسيحي :

وفي مدينة «صور» شهد ابن جبير زفافا مسيحيا شائقا اشترك فيه الرجال والنساء ، وشهده الرجال المسلمون ، يتفرجون على « البوقات والمزامير وجميع الآلات اللهوية حتى خرجت العروس ، تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال وهي في أبهى زي والفخر لباس تسحب أذيال الحرير المذهب » ويصف بعد ذلك سير العروس واكليلها وحملة ذيلها كما

الفنان

بقلم : دكتورة نعمات احمد فؤاد

(لابد للانسان من فلسفة كبيرة ليلاحظ ما يراه كل يوم) .

حكمة لا أتذكر الآن اسم قائلها وان كانت تفتح عينى كلما مرت بخاطرى على أشياء كثيرة ، لاأقول انهـا ترقى الى الفلسفة ، ولكنها صورة من صور الحياة يلتقى فيها التأمل بالشعور ... الحياة التى ننسى أننا فيهـا يكمل كل منا الآخر ، ثم يتعالى بعض أو يسخر قوم من قوم أو يتفاضلون .

ولو تعمقنا المعانى والأعمال لعثرنا على قيم كثيرة عزيزة ما أحرانا ان نتأملها ... ففى المهن مثلا نجد الوانا من الدلالات والمضامين .. والنماذج ..

هناك الفنان..ولكن هل الفن مهنة ! حاشاه.. انه متعة وعذوبة وخير ومباهج وافراح ودنيا خضراء ... الفنان خالق صغير أو انسان كبير .. كبير ... حتى القلق فى الفن يحلو ... انه ارهاص ... بشير ميلاد جديد والفنان لا يعدم صديقا ولو جحده الناس وأضمره زمانه .. انه صديق الأشياء ... المعانى .. الأفكار .. الكلمات .. الكائنات جميعا لا بل قد يكون مع صديق أو فى جمع من الصحاب فلا يعيرهم الا بعض سمعه .. بعض يقظته لانه يعيش مع فكرة ، أو يسبح مع ذكرى أو يحلم بصورة أو يتمنى .

ويفتح الناس عيونهم فلا يتجاوزون فى الرؤية حدود الأشياء وينظر الفنان فيرى كثيرا .. يرى ماوراء الأشياء ... كل ما حوله يسر اليه حديثا ويروى له قصة ... ويطول السرار ... والحوار ... فاذا عرف الناس تعجبوا ولعلهم يتساءلون...اين كنا ! او ليس منا ! فلا يخرجهم من حيرتهم الا ان يقولوا ... « فنان » .

يعيش الناس حياتهم بالطول ويعيش الفنان حياته بالعرض ... ويقطعونها فى وناء وبطء ويطويها وثبا وقد يحسبهم الجاهل اطول اعمارا فى حساب السنين والايام ومادرى أن الفنان وان ذوى ابقى اثرا واخلد ذكرا واسير اسما واغلى حياة .

وقد يكسب الأغمار والأوساط المال ويجمعون منه الذخائر والقنى ويعيش الفنان يومه فحسب بل قد يضوى جسمه حين تتوهج روحه وهو وادع كالشمعة رقيق مثلهـا فدال على اسلوبها ... فاذا احترق خلف ما يخلفه الشعاع

تعرفه الآن فى زفاف المسيحيين . ثم يقول ان أهل العروس اقاموا « سماطا » جمع أهل الحى كلهم واشترك فيه جيرانهم المسلمون .

وعيد الميلاد :

وقد ترك ابن جبير بلاد الشرق الاوسط على ظهر سفينة ملاحها وقائدها مسيحى من جنوا – وكانت امارة بحرية معروفة فى ذلك العصر – وركبها معه كثير من المسلمين . ويصف الحياة على ظهر السفينة وصفا لا يشعرنا بشىء من الغضب او الحقد او التعصب . كما يصف يوم عيد الميلاد المسيحى فى كنيسة احتفل به فيها الرجال والنساء ، وامتلات الكنيسة بالاشجار والزجاج الملون الذى يخطف نوره الابصار فى ضوء الشموع الباهر .

هذه الحياة السمحة بين المسلمين والمسيحيين فى شرقنا العربى ، كما شهدها ابن جبير . ووصفه لكنائس النصارى وحفلاتهم وأعيادهم وصفا لايشعر كما قلنا ، بشىء من الحقد والضغينة ، سجل مشرف ودليل قائم على أنه ، عندما يسير الناس فى سياج العقل والحكمة ، ويباعدون بينهم وبين عواطف الشر والخصومة والتعصب والجهالة . عند ذلك يعيشون فى وفاق وأمن وسلام ومحبة كما يعيش الاصفياء ، ولكل دينه وقبلته .

الدين لله والوطن للجميع .

محمود الشرقاوى

القارب من اثر وذكر ومتـــاع ٠٠٠ يظل الفنـان يعيش ويحيا نغمة سارية او قصيدة مدوية او كتابا ذائعا .. او عملا رائعا .. ويعيش الناس في فنـه وفي سيرته وهـو نائم ملء جفونه حيـا او ميتا . انهـم ، ســواء اتفقـــوا أم اختلفـــوا ٠٠٠ متذوقون .. وهـو الفنان .. ما اكرمها صـــفة وما أكرم صاحبها . قد ينبغ المهندس او الطبيب او المحاسب فلا يبلغ مدحه اقصى مداه الا اذا قيل فنان ...

ان الهندسة وحدها أو الطب وحده أو الاقتصاد مهنة مرموقةفي دنيا الناس ولكنهاحين يكون صاحبها فنانا في عمله تفتح له السماء أوسع أبوابهـا فقد منحه الفن سحره ونفعه بعطاياه ومضات ولمســات وطاقات خالقة صناع ٠

ان الفن هبة يحظى بها السعيد ثم ترفد الموهبة الغالية قواعده وخصائصه ولا يغنى عن الموهبة في الفن تعلم مهما بلغ ٠٠ انها الاصل والمنبع هيهـات ان تتاتى بالتقليد أو التلقين او التمرين مما يدخل في باب الصنعة او الحرفة حين يختلف الفن عن عاملية العامل مصعدا الى سماوية الفنان ٠٠ وقديما كان الفن يهول الناس فينسبونه الى وادى عبقر ويحسبون صاحبه اخا للشـــياطين يوحون اليه او العرائس يهدينه بدائع الالهام ٠٠ انه أكبر من هذا ٠٠ انه نفحة من السماء ولمحة من نور الله ٠٠ ومن هــذه الحقيقة استمدت ٠٠ الفنـون رسالتها ، ورسالتها كما يقول أستاذنا الزيات « أن تجمل الحياة وتهذب الحضارة وتسمو بالانسان ٠ واذا كانت الفنـــون الآلية قد اخترعت لتخدم الجسد فان الفنون الادبية قد اصطنعت لتخدم الروح فهي اذن ضرورة وحاجـة لاكمال ومتعة ٠ ولايتسنى لها أن تؤدى هذه الرسالة الا اذا احتفظت بالجزء الالهى الذى يقرب الادب من الدين ويربط الارض بالسماء ويدني الانسان من الملك ٠ هذا الاتصال الروحى او الالهام الذهنى او الاستعداد الفنى متى أوتيه الانسان سما بملكاته على الناس فلا يفكر تفكيرهم ولا يشعر شعورهم ولا يعبر تعبيرهم ولو اكرهناه على أن يتدلى اليهم ويندمج فيهم لنفر نفور الجنس الغريب وتميز تميز الكائن المستقل » ٠

الفن له أصوله المتميزة وفنـــونه وقدراته وما أصعبها على غير الكفء ، وقليل الوسـائل ولن تخدع العارفين الدعاوى العريضة والتمسح بالشعب في هذا المجـــال ، فالفنان الصادق رادار يسجل أدق خلجات شعبه بل خلجات الانســـان أيا كان وكم من اعمال فنية خالطت الناس في الاسواق والاكواخ وتواكبت فيها صور الفضيلة والرذيلة ٠٠ وهي على حالها واوصافها مجلى للفن ومظهرا له على اختلاف الموضوع والمادة والامثلة كثيرة في كل امة تسهم في حضارة الانسان ٠

ولكن الفنان بقدر ماتضاعفت رهـافة الحس عنده ، الرؤية والفرح بالجمال في كل شيء ، فان هذه الرهافة نفسها تزيد احساسه بالحرمان وشقاءه به ، واظهر مايكون هذا في الممثل والمغنى ان الاديب فنان مختار يستطيع أن يتخفف ممايؤوده من انفعالات بالتورية وبالسخرية ٠٠ بالقصة ٠٠ بالصورة ٠٠ بالمسرحية ٠٠ بالرمز ٠٠ يستطيع الاديب أن يقول كل شيء دون أن يؤخذ بشيء٠٠ يستطيع أن يتحايل بالتاريخ او يختفى وراء الفن ٠٠ ما اكثر مايستطيعه الاديب ٠ وهو في هـــذا أطول باعــــا من الرسام والموسيقى واكثر فنونا وابرع وسيلة ٠٠ ما اكثر مايستطيع الاديب ٠

ولكن الممثل فنان ومتلق معـا فهو يعطى الدور وعليه أن يحسه ٠٠ بحياة كل امرىء يعيش حياته يعيش الممثل حيوات كثيرة متنـــوعة بل متبـــاينة ومتناقضة ٠٠ يؤديها كلها على اتفاق في الحرارة والصدق ٠٠ والاقناع او هكذا يجب ان يكون ٠٠ وقد يهزل أعنى يمثل هزلا فيضحك المشاهدون ، وقد يبكى فيأسى النظارة،وقد يستخف أناس قائلين ليس الا تمثيلا كان بالقليل أن تغدو الكلمة المكتوبة او المسموعة حقيقة أو كالحقيقة تحرك مشاعر الناس فتسعدهم أو تبكيهم ٠٠ ان الممثل في الحالين يعطى الكثير من نفسه ليصل الى هذه الذروة ٠٠ وقديكون واقعه على النقيض من دوره فيضحك وهو يبكى ويمثل السعادة وهو حزين معنى وما اقسى مهمته عندئذ وما اشقها ولو لم يدر الغافلون ٠٠ وشبيه به المغنى الذى يهدهد العواطف ويناغى القلوب وقلبه خـاو ذاو لا يجد الحبيب ٠

وهكذا الفن في أوجه الأعلى في حياتنا اليومية ضرورة يجدب بدونها العيش وتقفر بغيرها الحياة حتى الترف فيه ميزة ترفع صاحبها في راى العين لفضل الذوق والاحساس والتعبير ٠

دكتورة
نعمات أحمد فؤاد

في الجنة العذراء

بقلم : الدكتور أحمد كمال زكي

اذا قرانا رواية كالسقطة من تاليف كامى او رواية اخرى كالطريق من تاليف نجيب محفوظ ، فان انطباعنا الاول ان واحدا من هذين لا يريد ان يخبرنا بكل شيء . ولقد يبدو انه يتعمد الا يكون عطاؤه كاملا ، غير اننا من غير ادنى شك نحس انه يجذبنا اليه وان يكن يثير فينا — في آن واحد — الاحساس بالتعاطف والغيظ معا .

ولكننا اذا قرانا لعبد الحليم عبد الله اعماله نحس انه يقص علينا الحكاية بالتفصيل ، ويلح بالأحداث الحاحا موضوعيا قد تنعدم فيه الذاتية او يخفت صوتها ، وتتصور ابطاله مقيدين بقوى مفروضة لا تجعلها تخرج عن طريق رسم لها بذكاء .

ومما يمكن ان يضاف ايضا ان عبد الحليم عبد الله — كممثل لاتجاه في الرواية يخالفه فيه نجيب محفوظ — يقدم لنا قرائن واضحة عن الموقف ولا يتكيء الا على ان العواطف هي في ذاتها محور القيمة الفنية ، او تكاد . ومن ثم لا ضرورة لوجود مضمون معين او ليس من المقرر ان تثار احدى القضايا التى تشكل لونا من الوان الاحتجاج .

هذا وبينما يظهر عبد الحليم واضحا مستقيم الطريق ، يصور نجيب محفوظ عن قفزات اللاوعى في الثواءات يمثلها تردد عباراته بين الانا والهو ، فيلغى بعفوية كل فاصل بين الانسان الذى يفكر والانسان الذى يحس .

ومن الخطر بعد ذلك ان نمضى في تعداد الفروق، كذلك لا ينبغى ان نضع اية قوانين تفرض بها منهجين متباينين في القصة المعاصرة ، فلا يزال قاصونا يعتمدون القديم الى حد التقديس ، وياخذون بجانبه اشياء من الجديد الذى يطلق عقال التعبير الى خارج الشكل المالوف . ومن ثم لا نزعم أن نجيب محفوظ ترك نهائيا تقاليد القدماء ، ولا ان عبد الحليم عبد الله لا يزال عند النقطة التى بدأ منها كتابة « لقيطة »

يدل هذا على ان النزعة السائدة في اتجاهات القصة والرواية — طيلة السنوات العشر الاخيرة — هى التخلى عن بعض التقاليد التى تجمد الحياة . وعبد الحليم عبد الله نفسه وهو الذى ينتمى الى مدرسة المقامات — كما يلاحظ ذلك فاروق خورشيد بحق — يطرح جانبا كثيرا من تقليديات الاسلوب في روايته الأخيرة « الجنة العذراء » فيكون اقرب الى الواقعيين ، ومع ذلك فلا ازعم انه يتخلى نهائيا عن الرومانسية التى شهر بها في النقطة التى بدا منها كتابة « لقيطة » .

واذا كان للكلمتين « واقعى » و « رومانسى » اى معنى ، فانه لا يخل مطلقا بتحديد خط السير كما رآه قصاصو القرن التاسع عشر العظماء . ومن هنا ينتمى عبد الحليم عبد الله الى المدرسة الكلاسيكية سواء صدر عن حس واقعى او تهويم رومانسى ، وسواء تمسك ببلاغية المقامة او اصطنع الاسلوب المرسل .

(٢)

والاشارة السابقة الى « الجنةالعذراء » تضعها في اطار الاعمال التى لا تزال بعيدة عن نفوذ الوجوديين ، وهو مستشر اليوم ، وذلك لوقوف الحقيقة الفنية فيها موقفا عقلانيا متزنا . ومن ناحية اخرى فان عبد الحليم عبد الله يختار لها « موضوعا » تقليديا ، فلم يكن بد من أن يجابهنا فيها بشكل الرواية المالوف ، او هذا ما فرضه الموضوع التقليدى . وانه لأمر يدعو الى الملاحظة حقا أن يدور عبد الحليم عبد الله حول فكرة ابتذلت في اعمالنا الفنية ولم يبتذل هو بها ، مما يدل على خصوبة يمكن استغلالها عنده في موضوعات اكثر خطورة واكثر طرافة .

والرواية تحكى حكاية « الحق المغتصب » او قل هى ترصد للظلم الذى يواجه به الانسان بلا مبرر . فرضا ابن « بهية » القروية من زوجها الثرى « الحاج ماضى » يقع ضحية أخيه « حمودة » غير الشقيق . ولقد دبر حمودة تدبيرا اطاح بالأم وابنها رضا ، فصحبته الى اخيها بالقاهرة — وكان عامل قهوة — فوجدته يعيش في بحبوحة ومعه زوج لعوب كانت امرأة لصاحب القهوة قبل أن يدخل السجن .

كانت حياة شائنة فهمت بهية منها امورا معينة، ولكنها وضعت آمالها فى ابنها فعلمته، وتفوق هو، واصبح مطبعيا ماهرا يفهم كل شيء .. حتى حكاية طرده، ورغبة اخيه فى الاستئثار بارض ابيه المريض، وهى الجنة العذراء!

وفى سنة ١٩٣٩ تقع الحرب العالمية الثانية، فلا يحزن لها رضا بقدر ما يحزن على وفاة ابيه بعد صرع كانت نوباته تعاوده بين حين وحين. ولقد علم أن حمودة انتهز فرصة تعرضه لاحدى هذه النوبات، واخذ بصمات ابهامه على صك بيع كل ارضه له. وهنا يعلن انه سيحارب اخاه حربا دونها الحرب التى تطحن البشرية طحنا، ويجعل صديقه «حسن» الجندى همزة وصل بينه وبين «البلد» التى فيها الجنة العذراء، كما عقد اتفاقا مع «البتانونى» المحامى الأفاك الذى يعرف اخاه كل المعرفة كما يعرف أنسباءه الاثرياء.

وبينما كانت الاستعدادات للمعركة دائرة يقع هو فى حب «ثريا» بنت عم جابر جاره، وتبادله هى الحب وتعاهده على الزواج. ولكن الانجليز يختطفونها ذات امسية فلا يراها ابدا. ومن جانب آخر تنطلق رصاصة مجهولة تودى بحياة اخيه وينتهى كل شيء، او تضع الحرب اوزارها.

تلك هى الرواية باكبر خطوطها، وقد تعمدت أن اسقط منها كثيرا من المواقف لا تنمى — فى رايى — الاحداث ولا تطورها، ولكن تشارك فى ايجاد عنصر الاثارة والتشويق. واذا كان هذا فى حد ذاته مقياسا تقاس به الاعمال الجيدة، فانه لا يمكن ان يكون مقبولا على طول الخط، والا كان علينا أن نقدم روايات «موريس لى بلان» و «روفائيل ساباتينى» على اعمال «ديكنز» و «هاردى» و «دوستويفسكى».

ومعنى هذا ان «الجنة العذراء» يتوفر عنصر الاثارة فيها — ولا سيما فى قصة الحب الذى نشب بين رضا وثريا وفى مواقف البتانونى كلها — لاتتقدم شيئا. فلا الحب كان له أدنى اثر فى تعقيد المواقف وحلها، ولا المحامى اضاف اضافات ذات مغزى فنى محدد، بل كان عبد الحليم عبد الله بغيرهما يبدو طبيعيا بسيطا.

ومن ناحية اخرى فان عم جابر كان كشقيق بهية تماما. كلاهما مقحم يتحرك وفق مخطط مقتسر، وهما داخل الاطار التقليدى اشبه بالنكرات التى يقدمها المسرح احيانا دون ان يرى احد بوضوح انها تكشف عن اى رابط عضوى بينها.

ولقد يمكن لعبد الحليم عبد الله ان يجاهر بانه يعرف الرابط، بل يمكن ان يقيم الدليل على وجوده وتفاعله، غير أنه لا يستطيع قط أن يدعى ان امثال عم جابر اذا اسقط يسقط ركن من اركان الرواية.

(٣)

ولكن هل «الجنة العذراء» حقا بلا مضمون؟

فى تحليلنا لعناصر الشكل الروائى ظهر لنا فى وضوح أن الحس التراجيدى عند عبد الحليم عبد الله — وان يكن مرتبطا بحس الطبقة التى ينتمى اليها — كان من الوهن بحيث لم يضعه فى مستوى ازمة الثلاثينيات التى عاشتها مصر هذا القرن. لقد استطاع ان يخلق البطل الذى يبحث ويبحث — والبحث احدى قضايا الانسان المعاصر — غير انه ضيع فى الطريق جدوى البحث. ومن الطبيعى ألا نطالبه بايجابية ما، كأن يهتدى الباحث بأحد الحلول، ولكن الطبيعى ان نطالبه بالا يجعل الصدف اليد الطولى فى وضع نهاية للبحث. وانا اذكر هنا — على سبيل المقارنة العارضة — أن نجيب محفوظ فى روايته القصيرة «الطريق» لم يشأ أن يكون حاسما فى وضع النهاية لبحث بطله عن ابيه، ولكنه وضع النهاية لحياته هو فى مأساة ضاع فيها كل شيء.

اما عبد الحليم عبد الله فقد قضى على المضمون الكبير فجأة عندما قدر ان يقتل الأخ — ولم يعرف قاتله — ويطلع فجر كاذب. مع انه ضيع قلب البطل كما ضيعه ابوه أو اخوه سنين طوالا وكان من الممكن أن يجعل هذا الضياع ضياعا الى الابد فيزداد الحس المأسوى عنده، ويزداد بالتالى المضمون تحديدا.

انا لا ازعم أن ما اراه هو الاصوب، فالكاتب صياغته واسلوبه فى ايصال التجربة الفنية لأى متلق. ولكنى ارى انه كان من الممكن أن يفعل اى شيء آخر ليخرج بروايته عن النهايات المتبعة،

ولا يظل باسم « القاعدة » و « المألوف » يهدر حق الابطال فى ان يعيشوا بمنطق الفن كما يشاءون ، وينتهوا فى معركة المقاومة والصمود .

وارجو الا يفهم احد انى ادعو الى الانهزامية او انى متشائم — فمن الواضح ان قضية الانسان المعاصر لم يعد من السهل القطع فيها ، وهذا محزن حقا — ولكنى ارجو أن يكف عبد الحليم عبد الله عن التظاهر بأى تفسير تعسفى حتى يجعل الشمس تشرق وتأتى ساعة الخلاص . كلا ، فليس بالتفاؤل نقضى على طغيان الزمن ، ونجابه الموت ، ونصل الى المعرفة واليقين . وانما بالتحدى والاحتجاج نجرب لحظات السلام والسلام ، ثم نموت بعد ذلك فى هدوء عندما يحين لنا أن نموت .

والاحساس بالموت نفسه تجربة انسانية رصد لها عبد الحليم عبد الله ، ولكنه لم يبلوره بحيث يكشف عن العجز البشرى ازاءه . وقد يكون عنده ما يبرر مروره بهذه التجربة مر الكرام ، غير ان اقترانها بالبحث كان من الممكن أن يجعل المضمون اكثر خصوبة واسمح عطاء ، فالبحث والموت جزء من كيان الانسان ، وكذلك هما جزء من حضارته التى يبنيها ، وما من احد يستطيع ان ينكر ان حياة اليوم يمكن ان تتخلص من المصير الزائل .

اجل .. لم يفعل ، وكان يرى الموت فى كل مكان وفى عين كل انسان .. الاب يموت ، وحمودة يموت ، ومعلم القهوة وثريا والجنود الذين يصطرعون — كلهم يلعبون لعبة الفقد ، بينما ليل القدر ينسحب على القرية وعلى الميدان وينعقد فوق السطح وداخل المخبأ .

ان فيض الظلام يطبق على الأرض ، ويطبق على نفس « رضا » وعلى امه وشقيقها ، ولكن عبد الحليم عبد الله مع ذلك لا يريد الا ان يستمتع بشروق الشمس الكاذبة . انه يدفع بطله ليبحث عن مصيره وهو لا يكتشف — فنيا — ان الموت يلازمه ، وهو يحس به ، ويراه يغشى قريته والمدينة وبلاد العالم المتحارب .

واذن فقد كان هناك مضمون ، ولكنه كان غائما ، وافتقر دائما الى الحس التراجيدى من ناحية ، والى الحركة الذكية من ناحية اخرى .

دكتور
احمد كمال زكي

الرّؤيـــة

بقلم : الدكتور حسين نصار

كنا صغارا ، ومرت اعوام . وكان رمضان ذا معنى ، فمر له معنى وثان . ولكنه — على تعدد معانيه وتغايرها — بقى شهر الذكريات ، بقى الشهر الذى يجتمع فى مطلعه اهل بلدتنا ليبحثوا عن هلاله الوليد ، والذى تجتمع فى كل ايامه العائلة فى افطار وسحور ، وتجتمع فى لياليه العائلات فى سمر وحبور . ذكريات كلها حلو ، وكلها تحب النفس أن تستعيده .

واول ذكريات رمضان « يوم الرؤية » أو « الريا » كما اعتدنا أن نتلفظ بها فى تسهيل للهمزة ووقف على هاء التأنيث .

والرؤية ليست من ذكريات فرد ، ولا جماعة ، بل من ذكريات المجتمع الاسلامى كله ، فى تطلعه لاثبات مستهل شهر الصوم . ولكن المجتمع المصرى خاصة احتفى بها احتفاء عظيما ربما فاق غيره من المجتمعات .

وابتدأ الاحتفال بالرؤية بسيطا ساذجا ، اذ قيل ان الناس طلبوا الهلال فى أثناء قضاء عبد الله بن لهيعة الحضرمى على مصر (١٥٥ — ١٦٤ هـ) فلم يروه . ولكن رجلين أتيا فزعما انهما رأياه . فبعث بهما موسى بن عيسى والى مصر الى القاضى ، وسأله عن عدالتهما فلم يعرفهما احد . واختلف الناس فى رمضان وشكوا . فلما كان العام المقبل خرج عبد الله بن لهيعة فى جماعة يعرفون بالصلاح . فطلبوا الهلال بالجيزة ، فهو اول قاض خرج فى البحث عن الهلال .

ثم تعدى القاضى هاشم بن ابى بكر البكرى (١٩٤ — ١٩٦) الجسر ، وارتقب الهلال فى جنان ابن ابى حبشى . وبقيت القضاة على ذلك الى ان تولى القضاء ابن أبى الليث (٢٢٦ — ٢٣٠) فارتقبه فى اصل المقطم .

ثم خضعت مصر للفاطميين . فجعلوا همهم فى الاعياد والمواسم ابراز مظاهر عظمتهم وترفهم . فعنوا بها اعظم العناية ، واحتفلوا فيها اكبر الاحتفال ونال يوم الرؤية من ذلك مانااله غيره . فكان الخليفة الفاطمى يركب فى موكب مماثل لموكب الاحتفال بأول العام الهجرى .

وكان الاعداد لهذا الموكب يستغرق اياما ، بأمر الخليفة فيهـا باخراج الاسلحة والاعـلام والطبول والخيل والبغـال والسروج والهوادج وغـيرها ، وتفريقهـا على كبار رجال الدولة ، مع مراعاة قدر كل منهم فى هيئة ما يعطى له وعدده ، لاستخدامها فى اثناء الموكب ثم يردونها .

ويتم الاحتفال فى يومين ، يطلق على اليوم الاول اسم «عرض الخيل» . وهو شبيه بالاعـلام بيوم الاحتفال بعده . ويبدأ الاحتفال فى صـباح اليوم الاول ، بمن يسمى « صـاحب الرسـالة » يبعثه الخليفة الفاطمى على حصان سريع لاستدعاء الوزير من بيته . فاذا ماعاد من رسالته ، واعلم الخليفة ، انتقل هـذا راكبا الى دهليز باب الملك ، فينزل فى الموضع المسمى بالشباك ، وقد ارخى عليه سـتر يحجبه عن عيون الرعية . ووقف الى يمينه زمام القصر ، والى يساره صاحب بيت المال .

ويركب الوزير من داره ، ويسـير فى موكب من الأمراء ، الى ان يصل الى باب القصر ، فيترجـل الامراء ، ويدخل الوزير راكبا من باب العيد ، فاذا بلغ أول باب من الدهاليز الطوال ، نزل وسـار وحوله حاشيته الى الشباك ، فيجد كرسيا كبيرا ووطئا فيجلس عليه . فيرفع زمام القصر وصاحب بيت المال السـتر الذى يحجب الخليفة ، فيقف الوزير ويسلم ويخدم بيده الى الارض ثلاث مرات او خمسا . فيؤمر بالجلوس .

ويستفتح القراء بالقراءة بآيات لائقـة مقـدار نصف ساعة ، ثم يسلم الامراء ويبدأ عرض الخيل التى اعدت لركوب الخليفة ، فيعرض نحو مئـة منها ومن البغال ، وقد بولغ فى تزيينها ، فصيغت مراكبها من الذهب والفضة ، أو الذهب المنزل فيه الميناء ، ورصعت باللؤلؤ ، وغطيت جلودها بالديباج الملون ، وطوقت اعناقها بالذهب وقـلائد العنبر ، وحليت ايدى اكثرها بالخلاخل المموهة بالذهب . فتسير الدواب هادئة فى ايدى سواسهـا كأنهـا العرائس .

وبعـد انتهـاء العرض يأمر الخليفة بعشر من الدواب للوزير وخاصته . ثم يعود القـراء الى التلاوة . وعند الفـراغ منها يرخى السـتر على الخليفة ، فيقوم الوزير ، ويدخل عليه ، ويقبـل يده ورجله ، ثم ينصرف الوزير راجلا الى موضع دابته ، فيركب ويسير حوله من اتى معـه الى باب القصر فيمتطون دوابهم ، ويعودون الى دار الوزير بالهيئة التى أتوا عليها .

وبعد صلاة الظهر من اليوم نفسـه ، يجـرى فى القصر احتفال مختصر آخر ، اذ يجلس الخليفـة لتعـرض عليه خـزانة الكسوة الخاصـة ، ليعين مايلبسـه فى موكبه ، وكان يتحرى فيه البياض غير الموشح . فيعين بدلة ومنديلا خاصا لشد التـاج شدة غريبة تسمى شد الوقار . ويختار المظلة اللائقة بهما ، وعمودها من الزان الملبس بأنابيب الذهب ، ويعلو الجزء الاعلى منه كـرة صـغيرة من الذهب المرصع بالجواهر ، الى جانب مافيهـا من زينـة اخرى . وتطوى المظلة فى منديل دبيقى ، من الحرير الخاص ، فلاتكشف الا فى الموكب ، ثم تعرض على الخليفة اليتيمة ، وهى جوهرة عظيمة ، موضوعة فى هلال من ياقوت أحمر ليس له مثال ، وحولهـا جواهر دونها . فتنظم فى قطعة من الحرير احسـن مايمكن من نظم ، ثم تخاط فى التاج بخياطة خفيفة ، ليضعها الخليفة على جبهته ، وقد استدار بهـا قصب الزمرد العظيم القـدر . ويصـدر الخليفة آخر اوامره بالاستعداد للموكب .

وفى اليوم التالى يبدأ الاحتفال الكبير . فينقسم الناس الى قسمين . يبكر الامراء الى دار الوزير ، فيركب من غير استدعاء ، ويقصـد القصر فى موكب عظيم . يتقدمه تشريف الوزير ، ويتألف من الامراء والجند الذين أعطوا الرماح الملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب ، سوى ذراعين منها شد فيهـا قطع من الحرير الملون ، وبراس كل واحد كرات من الفضة وأهلة مجوفة ، فيها جلاجل تصـدح عند

تحركها ، ومائة هودج ملبسة بالديباج الاحمر والاصفر ومحلاة بالفضة والبنود الديبقى المرقوم الملون برماح ملبسة بالانابيب على رءوسها الكرات، وعشر من الخيل المزينة . ثم يسير لواءان على رمحين ملفوفين غير منشورين ، ثم الوزير ، فى ابهة عظيمة من الثياب الفاخرة ، وادار عمامته بحنكة ، وتقلد سيفا مذهبا .

فاذا بلغ الوزير القصر ، وجد ارباب الرتب والسيوف والاقلام مصطفين بين القصرين. فيترجل من حوله عند باب القصر ويدخل هو راكبا الى دهليز العمود . فيترجل على مصطبة هناك ويمشى الى القاعة ويجلس بها .

وعند ذلك يؤتى بدابة الخليفة وتسند الى الكرسى الذى يركب منه . فتخرج المظلة وتعطى الى حاملها

ثم يخرج السيف الخاص ، وجلبته ذهب خاص مرصعة بالجواهر ، فى جراب مرقوم بالذهب ؛ لا يظهر سوى راسه . ويحمله امير عظيم القدر . ثم تخرج الدواة الخاصة ، وكانت من الذهب، المحلى بالمرجان ، ملفوفة فى منديل من الحرير الابيض المذهب . فيضعها حاملها بينه وبين قربوس السرج .

ثم يتقدم الوزير ومن معه فيتقدم الى جانب دابة الخليفة . فيرفع صاحب المجلس الستر ، فيبرز الخليفة مرتديا ما اختار من لباس ، وهو محنك ، مرخى الذؤابة على الجانب الايسر ، متقلد سيفا عربيا ، وبيده صولجان الملك ، من العود المكسو بالذهب ، المرصع بالجوهر ، وطوله شبر ونصف .

فيسلم قوم مرتبون للسلام على الوزير ثم على اهله ثم على الامراء . ثم يخرج اهل المجلس من القصر جماعة بعد اخرى ، وفى مؤخرتهم الوزير . فيقف امام باب القصر الى ان يخرج الخليفة، تمشى دابته على البسط ، وتحيط به حاشيته . فعندما يقرب من الباب ، ينفخ رجل بوقا معوج الراس من الذهب ، فتجيبه ابواق الموكب . وينشر المظلة حاملها بمعونة جماعة من الصقالبة ، ويركزها فى آلة من حديد على هيئة القرن ، مشدودة فى ركاب حاملها الايمن . ويخرج الخليفة من الباب ثم يقف مقدار ما يركب ارباب الرتب الذين كانوا بالقاعة . ويبتدىء الموكب .

فيتقدم اجناد الامراء واولادهم واخلاط بعض العسكر ثم الاماثل ثم ارباب القصب الفضة ثم ارباب الأطواق ثم الاستاذون المحنكون ثم حاملا لواءى الحمد ، وهما رمحان طويلان ملبسان بانابيب الذهب الى نصفهما ، وبراسهما لواءان من الحرير الابيض الموشى بالذهب ، ملفوفان على رماحهما ؛ ويحملهما اميران .

ثم ينقسم الموكب الى قسمين فى الجانب الايمن اهل الوزير ، وفى الجانب الايسر حامل الدواة ثم حامل السيف .

ثم ياتى الخليفة الذى يحيط به من جميع الانحاء صبيان الركاب ، الذين لايتركون غير فرجة صغيرة لراس دابته ، يسيرون فى الف رجل ، عليهم وفى اوساطهم المناديل ، يشهرون من السلاح السيوف المصقولة المذهبة ، والدبابيس الملبسة بالجلد الاحمر والاسود ذات الرءوس المدورة المضرسة ، والفئوس المستطيلة الرءوس ، والعمد الحديد المربعة ذات المقابض المدورة المسماة بالمستوفيات ، وغيرها . وبقرب من راس الدابة صقلبيان يحملان مذبتين كالنخلتين . والى اليمين صاحب المقرعة ، وهو الذى يؤدى عن الخليفة أوامره . والى اليسار صاحب المظلة .

يليهم قوم آخرون من صبيان الركاب ، يحمل كل واحد سيفا فى خريطة من الديباج الاحمر والاصفر بشراريب ، يقال لها « سيوف الدم » . ثم صبيان السلاح الصغير ، وهم ٣٠٠ من الشباب من رقيق السودان ، يحمل كل منهم حربتين مفضضتين فى شرابة واحدة ، ودرقة .

ثم ياتى الوزير فى موكبه المؤلف من نحو ٥٠٠ من صبيان الزرد الاقوياء ، ثم الطبول التى تسير ثلاثا وراء ثلاث ، والصنوج والصفافير . ثم ياتى حامل

الدرقة المذهبة المنسوبة الى حمزة بن عبدالمطلب ، يحملها امير مميز فى غشاء من حرير ، وحامل الرمح اللطيف ذى السنان المختصر الحلية ، الموضوع فى غلاف منظوم باللؤلؤ .

ثم طوائف من الجند : المصامدة ، والفرنجية ، والوزيرية ، والركابية ، والجيوشية . ثم اصحاب الرايات ثم ارباب القسى ثم الاتراك ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز والمتطوعون وغيرهم .

ويطوف بالموكب كله لافساح الطريق ، وحث الجند ، وحفظ النظام : والى القاهرة ، وقائد الجيش ، وصاحب الباب الذين اعطى كل منهم عشر قصبات ، وعشر هوادج ، وبنودا من الحرير ، وخيلا محلاة .

ويبدأ الموكب سيره من باب القصر الى باب النصر ثم باب الفتوح ثم يعود الى القصر ثانية . وكان الخليفة اذا وصل الى موضع جامع الاقمر وقف ، وبقى الموكب على سيره . فاذا مر به الوزير اشار اليه بالسلام اشارة خفية . ويدخل الوزير القصر على عادته . ثم يأتى الخليفة وقد ترجل الجميع ، فيحدقون به ويدخلونه ثم ينصرف الوزير فى موكبه الى داره . وينتهى الاحتفال العظيم ، الذى لم تر البلاد له مثيلا فيما اتى من عصور .

وتغير اسم اليوم فى القرن الثامن الى « يوم الركبة » لما يكون فيه من ركوب . وقد وصف ابن بطوطة احتفال احدى المدن المصرية الصغيرة بذلك اليوم ، وهى ابيار ، من الوجه البحرى . فابان ان الفقهاء والوجوه يجتمعون بدار قاضى المدينة ، بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين من شعبان . وقد وقف على باب القاضى من يسمى «نقيب المتعممين» ، وهو ذو شارة وهيئة حسنة . فكلما اتى احد الفقهاء او الوجوه ، تلقاه ذلك النقيب ، ومشى بين يديه ، واعلن مجيئه بصوت عال ، فيقوم القاضى ومن معه تحية له . ثم يجلسه النقيب فيما يليق به من مكان .

فاذا تكامل العدد ركب القاضى ومن معه وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان . وساروا الى موضع مرتفع خارج المدينة ، يرتقبون الهلال منه ، وقد فرشوه بالبسط . وظلوا به الى صلاة المغرب . فاذا ما عثروا على الهلال ، اوقدوا الشمع والمشاعل والفوانيس . ثم عاد القاضى فى موكبه الى منزله ، فاذا ما ادركه انفض الموكب ، وانتشرت الاضواء فى الحوانيت احتفالا بمقدم الشهر الكريم .

واستمرت هذه الصورة فى الوجود المصرى . فقد اعطانا المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين صورة لما كان يحدث فى مطالع العصر الحديث ، لا تختلف كثيرا عما رأيناه . فقد كان يبرز نفر من الناس عصر اليوم السابق او قبله ، ليقضوا بضع ليال فى الصحراء ، حيث يصفو الجو ، لترقب الهلال . وفى يوم الرؤية يسير موكب المحتسب ومشايخ الحرف المتعددة : الطحانين ، والخبازين ، والجزارين .. ومعهم بعض اعضاء حرفهم ، وفرق من الموسيقى ، وعدد من الفقراء . ويتقدمهم او يتخللهم فرق من الجنود ، يمتطون خيولا مسرجة باجمل السرج . ويبدءون السير من القلعة الى مجلس القاضى ، فينتظرون هناك عودة احد المرسلين لرؤية الهلال او شهادة غيرهم برؤيته .

وتغيرت الصورة قليلا امام لين الذى عاش مدة بيننا . فقلب مشاة النظام على الموكب ، وصارت فرقهم هى التى تقوم به ، يتقدم كلا منها ويتبعها حاملو المشاعل لانارة الطريق عند العودة . ثم يأتى بعدهم شيوخ الحرف ، ثم عدة فقراء يصيحون : «الصلاة ، الصلاة ، صلوا على النبى عليه السلام» ويفصل بين كل فرقة واخرى نحو ٢ دقائق . ويختم المحتسب وتابعوه الموكب .

وعندما تتاكد رؤية الهلال فى مجلس القاضى ، ينقسم الموجودون الى عدة فرق ، تعود احداها الى القلعة . ويتجول الآخرون فى الاحياء المختلفة مبشرين صائحين : « يا امة خير الانام ، صيام ، صيام » .

مهرجان الشعر الخامس

بقلم : العوضي الوكيل

- ٤ -

فى المقال السابق تحدثت عن شامخة واحدة من شوامخ المهرجان ، هى تحفة عزيز أباظه ، ولقد كانت شوامخ المهرجان كثيرة ، كما قلت ، ولنمض الآن فى النظر الى بعضها فى ايجاز لعلنا نبلغ بذلك غاية من غايات النقد ، أو سببا من أسباب الاشادة والتنويه ·

قصيدة الشاعر المفتن عبد الرحمن صدقى ذات جهد فنى وهمس ، وذات خيال رحيب وفكر ، وفيها الشاطىء الساحر كما تجلوه الطبيعة فتصوره العدسة القوية الراصدة ، عدسة الشاعر الواعى المتأمل ، وانى لأجد لشعر صدقى نكهة لاأجدها فى كثير من الشعر ، وأكاد أستدل على صاحبه من قوافيه ، فعلى مقاطعه بصمات روحية واضحة الخطوط ، على أن هذا الشاعر تلتقى فى سلوكه صوفية المتصوف واستزادة محب الحياة من صنوف مفاتنها وألوان متاعها :

على سواحل بحر الروم ، قد شهدت
ميلاد فينوس فى أبهى مجاليهـــا
يهتز كل كيان عنـــد رؤيتهـــا
فليس يحيا بغير الحب رائيهـــا

والشاعر ـ من فرط وعيه ودقة تركيزه ـ لاينسى حتى فى هذا الموقف ذكرى فقيدة حبيبة :

كفرت بالحب ، لـــولا أن فى خلدى
ذكرى التى لست مهما عشت ناسيها

أما قصيدة صالح جودت ، فقد استجمع فيهـــا صالح كل طاقاته الفنية ، فلم يتخلف عن قصيـــدته شىء منها ، صياغة لايحسن مثلها الا شـــاعر قدير موهوب ، وخيال وأفكار تروع باتساعها ورحابتهـــا وجمالها وفتنتها ، وريشـــة صالح قادرة على رسم الترف ـ قدرتها على رسم الفاقة ، ففى قصيدته من هذه ومن تلك لمع ·

واذا أنت تلوتها لم تستطع الا أن تنفعل بما انفعل به الشاعر فى سائر أجزاء قصيدته ، والا أن تشاركه الاعجاب أو التعجب من جمال بلقيس وأبهتها ، ثم مما بقى الآن فى اليمن من آثارها :

هـــذى المليكة من خطــــا
هـــا يبــــدأ التاريخ سيره
خلعت حضارتها عليـــ
ـــه ووشحت بالنور فجره
بلقيس من وهبت حديث الـ
جنس رونقـــه وسحره

وقد حاول بعض النقاد أن يهاجموا صالحا ، فادعوا أنه أدخل فى قصيدته تلك ما ليس منهـــا بطبيعته ، وذلك كذكر سيدى بشر ، والشعر الجديد ولست أرى فى ذلك مايرونه ، فان حرية الشاعر فى مسار التفكير والشعور تقتضيه أن يذكر ما يريد فى شعره على شريطة واحدة : أن يكون هنـــاك اتساق وتماسك فنى شعرى ـ لاذهنى عقلى ـ وهو ما تحقق لدى صالح ·

ونتحدث بعد ذلك عن الشاعر المتـــانق عادل الغضبان ، وملحمته «من وحى الاسكندرية» والحديث عن ملحمة فى مثل هذه المقالات الاستعراضية ـ ان صح هذا التعبير ـ لانراه ملائما ، ولعلنا نجد فرصة قريبة لمثل هذا الحديث الواجب ·

لهذه الملحمة العظيمة دلالة تجىء فى أوانها ، فقد أثبت عادل ـ بما لايدع مجالا لأى شك ـ أن القافية ليست غولا يقف فى طريق الشعراء ، فقد طوعهـــا الشاعر لعدد ضخم من الابيات ، بلغ المائتين ، ولانت فى يده ، حتى رقت فى المستهل وفى الخاتمة على حد سواء ، وبذلك أقام الدليل أمام دعاة الشعر المرسل على أنهم ليسوا على حق حينما زعموا أن القافية تحد من حرية الشاعر وتغل قدرته على الابداع ·

وثمة ملحوظة ذات دلالة ، فقد ألقى عادل فى المهرجان نتفا من ملحمته ، فلم نستطع حينذاك أن نتبين ملامحها الفنية ، ولم نقدرهـــا يوم ألقيت حق قدرها ولكننا لما قرأناها كاملة استبانت ملامحها ، وبدت كيانا فنيا متكاملا لاسبيل الى نكران قيمتـــه الرائعة ·

والملحمة تقص تاريخ الاسكندرية الطويل الحـــافل منذ بناها الاسكندر الاكبر ، حتى شب فى روابيها رائدنا البطل جمال عبد الناصر ، وكان فيها أول السير

البقية على صفحة ٢٢

من وحى المؤتمر

للشاعر محمود غنيم

من هؤلاء بدار الندوة اجتمعوا ؟ … الدهر ينتظر والتاريخ يستمع
سادات يعرب قد حطوا رحالهمو … فى دارهم والى أوطانهم نزعوا
كل البلاد بلاد العرب ابرجهم … فى أيها نزلت اجرامهم سطعوا
ان لم تسعهم بوادى النيل اربعه … ففى الصدور وفوق الهام متسع
ياسادة العرب حيا الله مقدمكم … وباركت يومه الآحاد والجمع
الأمر جد ونعم الناهضون به … انتم ومن غيركم بالامر يضطلع ؟
ان كان للخصم أقوام تشايعه … فالحق والملأ الأعلى لكم شيع
ان الذين سكتنا عن مظالمهم … لما سكتنا عليهم حقبة ضبعوا
لقد مددنا لهم حبل الرجاء ولو … لم نمدد الحبل فى أوكارهم قبعوا
تصرف القوم فى الاردن حين غدا … لهم مصيف بشطيه ومرتبع
ان تطلقوا يدهم فى نهركم طمعوا … من بعد فى غيره واستحكم الطمع
منوا بملك سليمان نفوسهمو … ولو تحقق هذا الحلم ما قنعوا
لو يشربون دماء العرب ما نهلوا … او ياكلون لحوم العرب ما شبعوا

***

بالله هل نسى الأشرار أنهمو … يوم القناة على اعقابهم صفعوا
اذ أقبلت دول العدوان زاحفة … زحف الافاعى وهم فى ذيلها تبع
جاء الثلاثة والشيطان رابعهم … يحدوهمو حاديان الحقد والجشع
وغرهم من سبيل الغدر ما سلكوا … وسرهم من جنود البغى ماجمعوا
حتى وقفنا لهم صفا فما كسبوا … شيئا ولكنهم بالخزى قد رجعوا
شادوا من الوهم آمالا فحين بدت … شمس الحقيقة فى آمالهم فجعوا

***

ان الضباب الذى غشى مرابعنا … من خمس عشرة كاد اليوم ينقشع
هم حركوا فتنة كنا نتوق الى … يد تحركها والخير ما صنعوا
مؤجج النار تصلاها جوارحه … وحافر البئر فى أعماقها يقع
فلينقلب سائل الاردن السنة … من اللهيب على شطيه تندلع
وما لهم ومياه النهر فى بلد … لا النهر يعرفهم فيها ولا الترع ؟

***

الارض تلعنهم من تحت أرجلهم … والافق ينظر شزرا كلما طلعوا
والشمس تطلع فيهم وهى كاسفة … والنجم يبدو عليهم وهو ممتقع
من هؤلاء وما تلك الوجوه ومن … أى الخلائق هذا المنظر البشع ؟
من اى وكر ببطن الارض قد زحفوا … من أى مستنقع فى جوفها نبعوا ؟
سبحان من زين الدنيا وشوههم … ان الخليقة ثوب هم به رقع
قد اضحك الكون أن الذئب جار على … سبع الفلاة ولم يفتك به السبع
وان اجبن من فوق التراب على … أسد الشرى من بنى عدنان قدشجعوا
وان شذاذ أهل الارض قد نزلوا … جنات عدن وفى أفيائها رتعوا
من قال : ان الشرى والليث داخله … للابقين وللشراد منتجع ؟

لا تمنـــع الظلم اقــوال منمقـــة … الظلم بالنـــار والفولاذ يمتنــع
وبالوقوف امـــام الخطب محتـدمـ … صفا قلوب المنـــايا منه تنخلع
حتى كان قلوب العرب قاطبـــة … قلب واضلاعها من حوله ضـلع
لا يحســب القوم أن الخلف بينكمو … فى الراى معناه أن الشمل منصدع
بالضـــد وثق رب العرش الفتنـا … هيهــات هيهات حبـــل الله ينقطع
لن تردعوهم بغير السيف منصلتـا … ان اللئيم بحد الســـيف يرتدع
وكيف نردع شــعبا ماله خلق … يصــد عن منكر او شرعة تزع ؟
المـــال عنـدهم دين يدان به … هو التقى وهو الايمـــان والورع
يكاد يسجد للشيطان ساجدهم … فى القدس ان كان بالشيطان ينتفع
دقوا طبول الوغى فالكل ملتئم … شاكى السلاح ليوم الزحف مدرع
العرب اجمــع قوات معبـــأة … ان قلتم اندفعوا للغـارة اندفعوا
ابناء يعرب حب الحرب فى دمهم … على الحفيظة والاقدام قد طبعـوا
من كل اروع يلقى الموت مبتســما … فى ســـاحة الروع لا خوف ولا فزع
الروح يسلمهـــا طوعا كان له … فى الحرب روحا سواها حين تنتزع
ان يفعـــلوا فتراث عن أوائلهــم … ساروا على هديهم فيه وما ابتــدعوا
ليست الى العرب الأمجـــاد نسبتنا … ان نحن لم نخترع فى المجد مااخترعوا
همو أوائل ســـنوا المكرمات لنـــا … لله والمجـــد ما سنوا وما شرعوا
وللعـــلوم من الاســـفار ما كتبوا … وللفنون من البنيـــان ما رفعـــوا
شادوا الحضارة بنيانا على أسس … والدهر فى المهـــد لا كهل ولا جذع
ان قيل سلم فهم فى السلم قد نبغوا … او قيل حرب فهم فى الحرب قد برعوا

***

ياسادة العرب امر العرب فى يـدكم … ان تنطقوا سمعوا أو تامروا صدعوا
ادعوا تلب فتاة الحى دعوتـــكم … قبـل الفتى ويلب الشــيخ واليفع
ان تقدموا فبنوا الاقدام نحن وان … قلتم سلاما فبـــالاكراه نقتنع
اللاجئون لهـــم يا قوم مظلمـــة … قد خطهـــا قلمان الحزن والجـــزع
كانني بهمـــو اذ هـــان امرهمـــو … ودوا لو انهموا قبل الهـــوان نعوا
سيموا الخضوع فعافوه وكيف به … وهم لغير جناب الله ما خضعوا ؟
تملكت عصبة الاشرار ما رفعـــوا … من البنى وجنت فى الارض ما زرعوا
لهم على الارض اكباد تذوب اسى … غير الهوان وغير البؤس ما رضـعوا
تحت القبـــاب قباب العز قد نشئوا … لكنهم فى خيـــام الذل قد وضـعوا
عاشوا على فضلات المحسنين بها … الســـم ما أكلوا والمـــر ما جرعوا
اللاجئون بظهر الضاد قاطبـــة … جرح عميق وهم فى قلبهـــا وجع
وكيف يجفو لذيذ النوم اعينهم … وفى المضاجع اخوان لهم هجعـــوا ؟
بالله لا تقبلوا فيهـــم مســـاومة … مع الخصوم فما اعراضنـــا سـلع
الشرق يرقب ما يمليـــه جمعكمو … والغرب ينظر ما ياتى وما يـدع
وروح كل شهيد فى الجنان على … قـــراركم من وراء الغيب تطـــلع
الســـاجدون لكم يدعون ان سجدوا … والراكعون لكم يدعون ان ركعوا
حتى المساجد كادت وهى من حجر … مع المصلين تدعو الله والبيـــع

محمود غنيم

(بقية المنشور على صفحة ١٩)

الى ثورته الكبرى ، التى ملأت الدنيا اصلاحا وسلاما وشغلت الناس تقديرا واعجابا ، وبين هذين العهدين يذكر ماتوالى على البلاد من العهود فى سياق شعرى يسمو على السرد التاريخى . ولعادل ديباجة وفن يذكراننى باستاذه خليل مطران ، ولا عجب ان يجىء القصص الشعرى عند عادل فى مثل هذه القوة الفنية ، فان مطران كان رائدا فذا من رواد الشعر القصصى :

هلل الثغر ، وغنى موجه
حين لاحت فيه رايات اميه
وتوالت بعدها الوبة
كلها نسج المعالى القرشيه
اقبلت تخفق عباسية
فى رباها فبنودا فاطميه
ثم ماست فيه أيوبيه
رف فيها شوق أخت حلبيه

وانظر الى عادل حين يصف الشاطىء الفاتن فى عروس البحر ، ولوصفه ما ينبغى ان يكون للوصف من ملاءمة تعبير مع الموصوف :

بابى الشطآن فى الفجر اذا
ايقظتها قبلة الفجر البريه
أشرقت وردية الخد كما
اشرقت وجنة حسناء حييه
وصحت ترشف صهباء الندى
حملتها السحب للريح الرخيه
وتبث الشوق زوار النقا
تخذوا منه وسادا وحشيه
كلما لامس جسما ناعما
هزهزته رعشات كهربيه

هذا الى ماجاء بعد ذلك من وصف مصرع الشمس وحسان الثغر وقمرائه مما يجعل لهذه الملحمة مقاما مرموقا فى شعر المهرجان .

ويتلو ذلك الكلام عن قصيدة شاعرنا القصاص على احمد باكثير ، وهى قصيدة عظيمة المضمون ، ولكن الحركة المسرحية فيها كانت أكثر مما يجب ، وموضوعها الانسانى يشفع لما شاب صياغتها من شوائب ليست معهودة فى شعر باكثير ، وليست منتظرة من مثل قدرته على الصياغة ، تلك القدرة التى ترفدها الثقافة والموهبة معا .

وفى مثل قصيدة باكثير نجد الدليل على ان تعدد القوافى امر مستحب متى كان الموضوع فى مثل هذه الصورة القصصية ، فان النقلة من صورة الى صورة ومن موقف الى موقف يهيىء لتمامها ولا ريب نقلة موسيقية من قافية الى قافية ، وهى فائدة ذات قيمة استفادها باكثير الشاعر الفنان من باكثير المسرحى المبدع . وقد تناول الصديق عباس خضر هذه القصيدة فى الرسالة بما نرى أن نكتفى به استشهادا وتعليقا .

ونصل بعد ذلك الى الشاعر محمد طاهر الجبلاوى لنقول ان قصيدته ذات مقاطع مختلفة القوافى ، كل مقطع منها من اربعة أبيات ، وموضوعها «قصة شهيد» وقد صوره الشاعر فى المقاطع الثلاثة الاولى ذا وطنية صادقة وعزوف عن اللهو والفراغ ، واباء لايحنى رأسه :

ما سبا الكأس لاغتنام سرور
او رأى اللهو والفراغ سبيله
أو حنا رأسه لنيل مراد
من كبير يبغى اليه الوسيله

والسياق القصصى جميل ولطيف ، يوائمه نظم قوى متين .

اما الشاعر محمود غنيم ، فكان موضوع قصيدته «الوحدة الكبرى» وقد استهلها بقوله :

ايها العرب أرهفوا الآذانا
هل سمعتم كما سمعت الأذانا
هاتف علوى الدعاء الى الوحـ
ـدة من عالم الخلود دعانا
ايها الهاتف السماوى أذن
فى البهاليل من بنى عدنانا

والقصيدة فى واحد وسبعين بيتا ، عليها كلها ماعلى شعر غنيم كله من الطلاوة وجودة النسج .. ويطرق الشاعر فى مطولته معانى سبقه اليها شوقى والجارم فى كثير من قصائدهما ، ولكنه بين الحين والحين ينفرد بمعان لم يسبقاه اليها كقوله :

يغفر الشعب كل ذنب ولا يمـ
ـنح عرشا أذله غفرانا
عصف الدهر بالعروش وولى
عهد كسرى وقيصر لا كانا
ليس فى كف عاهل صولجان
حمل الشعب وحده الصولجانا

ولا نستطيع بعد ذلك ، وقبل ذلك ، الا أن نقرر ان القصيدة نمط كريم من انماط البيان العربى المشرق الديباجة .

العوضى الوكيل

خطباء مفلسون

بقلم : محمد عبد الله السمان

قدر لى منذ اسبوعين ان استمتع بخطبة الجمعة فى احد المساجد الشعبية ولم يكن هناك ادنى ريب فى ان الشيخ لن تفوته مناسبة انعقاد مؤتمر القمة ليهيىء الاذهان اليه ، هكذا كنا ننتظر ، فاذا لم يكن الخيب مستعدا لهذه المناسبة فلا اقل من خطبة محددة فى موضوعها واهدافها تتناول مشكلات المجتمع او قضايا الشعوب المسلمة المكافحة .

ولكن خطيبنا — سامحه الله وغفر له — صعد الى المنبر بوجه متجهم ، ولا يحمل فى جعبة تفكيره غير عبارات مسجوعة منفرة ومتشعبة حتى لا تكاد تسمع عبارتين يضمهما معنى واحد او هدف واحد ، وفى صوت مجلجل اخذ — بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله — يلعن فساد المجتمع وانحدار الاخلاق ، وانهيار القيم ، وكان لابد ان تلتقط اذناى ، ويعى سمعى من عباراته الغضبى طرفا مما وجهه الينا :

« اياكم وهؤلاء المبتدعين الفجرة الاسافل ، الذين يهدمون سنة سيد الاواخر والاوائل — اياكم وهؤلاء الرجال التيوس ، الذين يسمحون لنسائهم ان يخرجن عاريات الصدور والافخاذ والرءوس — اياكم والمتهتكات من النساء ، اللاتى تلعنهن الملائكة كل صباح ومساء — احذركم ونفسي من الدنيا هذه العدو اللدود ، التى لعنها سيد الوجود » كنت اعتقد ان هذا الخطيب من القلائل الشواذ ولكن اديبا معروفا قال لى منذ ايام : ان خطيب مسجدنا فى حلوان شر من خطيبكم ، لقد تعود ان يشتمنا فى خطبته وتعودنا ان نتلذذ بشتائمه ، حتى اصبحنا من كثرة ما تعودنا ان نمل خطبته اذا لم يشتمنا فيها ، واصبح هو يضيق بوجودنا فى صلاة الجمعة اذا لم يمطرنا بشتائمه . . !

اذا كان المعهود فى كل مؤمن — كما يقول الرسول — انه ليس بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء ، فان المؤمن المتصدى لعظة الناس ، وتوجيه المجتمع والسمو بالقيم والمثل ، اجدر واحق بالترفع عن الفحش فى القول ، الفحش الذى قال عنه الرسول : **ما كان فى شيء الا شانه »** .

ان ابرز مقومات الخطبة باجماع الفقهاء ذكر الله تعالى ، والدعاء لعامة المسلمين بالهدى والكمال الاخلاقى . ولذلك قال الامام ابن حزم رضي الله عنه: **« ان ادخل الخطيب فى خطبته ماليس من ذكر الله تعالى ، ولا من الدعاء المأثور به ، فالكلام حينئذ مباح »** اى من حق المسلمين الا ينصتوا لمثل هذا الخطيب ، مع تشديد الرسول فى منع الكلام اثناء الخطبة حتى قال صلوات الله عليه : **اذا قلت لصاحبك والخطيب يخطب « صه » فقد لغوت ، ومن لغا فلا جمعة له »** .

روى ان الشعبى وابابردة بن ابى موسى الاشعرى رؤيا يتكلمان والحجاج يخطب حين قال : لعن الله . . ولعن الله . . فقيل لهما : اتتكلمان فى الخطبة ، فقالا : لم نؤمر بان ننصت لهذا .

والعجيب ان مثل خطيبنا المفوه لو اوجز فى الخطبة ، لكان هما واحدا امكن للمصلين احتماله ، ولكنه وغيره احيانا يتوهمون انهم اوتوا بلاغة سحبان ، واسلوب الامام كرم الله وجهه ، فينسون انفسهم فوق منابرهم ، ليلوكوا العبارات بأفواههم ، يعينهم سجع ممجوج اتقنوا حفظه ، وتكلفوا تنسيقه، وليس عليهم ان يسأم المصلون او ينفروا ، فهم ضحايا واسرى حتى يقضي الله امرا كان مفعولا .

ان مثل هذا البعض من خطباء المساجد يتمثل فيهم قول الرسول واضحا : « ان الله يبغض البليغ من الرجال ، الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » ولو ادركوا فقه الاسلام فى عباداته ، لفهموا ان خطب الرسول لم تكن تستغرق احداها الا دقائق معدودة ، وان من السنة قصر الخطبة واطالة الصلاة ورضي الله عن ابن مسعود اذ يقول : « احسنوا هذه الصلاة ، واقصروا الخطبة » ورضي الله عن عمار بن ياسر ، اذ يروى عنه احد السلف فيقول : خطبنا عمار بن ياسر فاوجز وابلغ ، فلما نزل قلنا : يا ابا اليقظان ، لقد ابلغت واوجزت ، فلو كنت تنفست ! فقال : انى سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول : **ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة — اى علامة — من فقهه ، فاطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة ، فان من البيان لسحرا . »**

اذا نحن اعتقدنا ان للمسجد فى الاسلام رسالة

القومية العربية في الشعر الحديث

بقلم : سمير وهبة

نادى الشعراء زمنا طويلا بالوحدة العربية .. وسبقوا أهل السياسة فى هذا المضمار .. ولا عجب فى ذلك لان الشعراء لهم بصيرة تجعلهم يستشفون المستقبل ويستجلون خفاياه ، واذا برؤياهم تتحقق عندما تواتيها الظروف، وفى هذا المعنى قال الشاعر على الجارم :

لقد كان حلما أن نرى الشرق وحدة
ولـكن من الاحـلام ما يتوقع
اذا عـــددت راياته فهى راية
وان كثرت أوطانه فهى موضــع

وعندما شد الاستعمار عصا الترحال عن القطر المصرى ، اقترب اليوم المرتقب وأصبح تحقيق الحلم سهلا يسيرا ، لان الاستعمار هو الذى فرق بين دول شقيقة ، وجعل بينها الحدود والفواصل فلما ذهب الى غير رجعة زال السبب الذى باعد بين الاشقاء وجعلهم شيعا . فالاستعمار هو الاسفين الذى دق فى بلاد

يجب ان تؤدى دورا فعالا فى صياغة المجتمع فى قالب من الوعى الدينى اولا ، والارتقاء بسلوكه ثانيا فيجبان تكون اكثر واعمق اعتقادا بانخطبة الجمعة من اهم مقومات رسالة المسجد ، لانها الوسـيلة الفعالة فىتحقيق رسالته ، ومن البديهى انالخطبة تحتاج الى خطيب معد لا مستعد . وعلى وزارة الأوقاف تقع المسئولية اولا وآخرا .

كثيرا ما نقرا فى الصحف شبه اعلان يتضمن ان وزارة الاوقاف عينت بضع مئاتمنخريجىالازهر ائمة وخطباء لمساجدها فى انحاء الجمهورية . وهؤلاء قد نجحوا فى اختبار المسابقة التى اجراها ديوان الموظفين ، وهكذا يخيل الينا - بل هى الحقيقة المؤسفة - ان مهمة ديوان الموظفين تنتهى عند عقد امتحان لاختبار معلومات المرشحين ، وليس لتقييم قدراتهم ازاء هذه المهمة الدقيقة ، وان مهمةالوزارة تكاد تقف عند توزيع الناجحين على مساجد الجمهورية ...

ولكن هل قدرت وزارة الاوقاف ان هـذه المهمة الخطيرة تحتاج الى اعداد المرشح لها اعدادا شاملا قبل ان يبدا مهمته ؟ الواقع ان شيئا منهذا لايحدث على الاطلاق ، واذا كانت الدولة ستتحمل مرتبات هذا العدد الضخم من الائمة والخطباء الى ما شاء الله فلمـاذا تضن وزارة الاوقاف بمرتباتهم بضعة شـهور ، يظلون خلالهـا تحت التمرين والاعداد ، ويختار لهم موجهون من كبار رجال الفكر الاسلامى واساتذة التربية ، ولا اظن ان الائمة المرشحين سيتجهمون لهـذا الاتجاه ، وهم يحفظون حديث الرسول : « **لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فاذا ظن انه قد علم فقد جهل** » .

ان عددا من خطباء المساجد ، يلقى على مسامعنا كل جمعة كلاما لا يرتبط بمفاهيم الاسلام الصحيحة سمعت واحدا يخطب فى المسلمين ويقول لهم : ان ابراهيم بن ادهم ذكر له احد اصحابه انه سمعه يردد بلسانه وهو يذكر سبحانى ، فقال له ابن ادهم خذ هذا السيف فاذا سمعت شيئا من هذا فاضربنى به وفعلا نفذ التابع ما امر به ولكن السيف لم يؤثر فى ابراهيم بن ادهم ، فآمن بأن شيخه فى درجة من المعرفة لايطمع فيها غيره .وسمعت آخر باذنى يقول : ان الرسول - وهو يدفن ابنه ابراهيم - شوهد دامعا ثم مبتسما ، ولما سئل فى ذلك ، قال عن سبب ابتسامته : انه سمع الملكين يناقشان ابراهيم ويسالانه : من نبيك فاجابهم : اتسالوننى عن ابى ؟ ولست ادرى كيف غاب عن الخطيب ان صغار السن معفون من السؤال والحساب .

نحن لا ننكر ان هناك خطباء يستريح المصلون اليهم كثيرا ، بل يقبل عدد غير قليل على مساجدهم من اماكن بعيدة فتصغى قلوبهم وآذانهم الى كلماتهم ويعبرون عن اعجابهم بهمباحاسيسهم ومشاعرهم ، ولكن لم نترك الكثرة الساحقة - ولا سيما خطباء الريف يلقون قصصا مثيرة لا تهذبنفسا ، ولا تسمو بعقل ، ولا ترتفع بمجتمع بل كثيرا ما تشوه جمال الاسلام وتسيء الى مفاهيمه العظيمة .

نحن فى حاجة الى خطباء ممتعين مشوقين ، أعدوا انفسهم للاحسان الى دعوة الاسلام ، ولسنا فى حاجة الى خطباء مفلسين منفرين يسب احدهم المجتمع ويقذفه بالحجارة ، ثم يطلب آخر الخطبة من المصلين ان يستغفروا الله ويعزموا على الا يعودوا الى معصية ابدا .. !

محمد عبد الله السمان

العرب ليعمل على تفريق كلمتها وتمزيق شملها وهو الذى حل فى جسد الامة واضعف من شأنها ، حتى اذا ما رحل ، سارعت الامة الى التماثل والشفاء .. وفى هذا المعنى أنشد احمد شوقى يشيع رحيل اللورد كرومر :

لما رحلت عن البلاد تشهدت
فكأنك الداء العياء رحيلا

وبديهى أن البلاد العربية الاولى التى اتحدت هى البلاد التى نالت استقلالها كاملا ولا تربطها بالاستعمار اية معاهدة أو التزامات . وهذه البلاد هى مصر وسوريا ، ومن الطبيعى أن البلاد الاخرى تنضم اليها تباعا ، ذلك لان البلاد العربية لها امانى مشتركة وهدف واحد يجمعها ، ولها امل واحد راودها فى ماضيها المجيد . البلاد العربية كانت تلاقى الهزيمة حينما كانت تنقسم على نفسها ، وحينما تتفرق وتسيطر عليها الحزازات والاطماع . ويروى لنا التاريخ انها استطاعت أن تهزم اعتى الدول حينما تتحد وتتضامن ، وهذه البلاد التى تعيش فى المنطقة العربية كلها أخوات وان فرقها الاستعمار ووضع بينها الحواجز الصناعية ، هى تكمل بعضها البعض سواء اراد لها المستعمر هذا المصير أو لم يرده .. وقد ظل الأمل يراود الشعراء زمنا طويلا فى أن يروا الوحدة تجمع شمل الشقيقات وفى هذا المعنى أنشد الشاعر العراقى الكبير عبد المحسن الكاظمى قصيدة رائعة جاء فيها :

انما الشام والعراق ومصر
أخوات وان تفرقن حينا
سينال الجميع بعد قليل
ما رجاه لخيرنا الراجونا
فليقم كل طالب عربى
وليقل عند دعوتى آمينا

وهذه الابيات ، رغم انقضاء ثلاثين سنة على نظمها حية تتسم بالواقعية حتى ليخيل الينا أنها نظمت بالامس القريب ، الامر الذى يدل على أن رغبة الاتحاد متأصلة بين أفراد الشعب العربى الواحد . والشاعر كالنبى الذى يخترق ببصيرته حجب المستقبل ويبشر بالدعوة الصادقة .

وثمة رغبة جياشة كانت تلازم صدور الشعراء فيعبرون عنها لأنهم وجدوا أن عزة العرب سوف تتحقق اذا تمت الوحدة . ينادى الشاعر الياس فرحات (احد ادباء المهجر) بلده لبنان لينضم الى الدولة العربية التى أقيمت فى سورية سنة ١٩٢٠ قائلا :

فان لم ترض بالعرب اتصالا
فلا تجعل جزاء الخير شرا
ولا تطلب لاوربا انتصارا
على الشعب الذى ولاك نصرا

ثم يتوعد الاستعمار الذى كان قد اظهر نياته السيئة وضرب بوعوده عرض الحائط ، فيقول :

وان تفشل ويغشى الشام ضيم
جعلنا الشام للافرنج قبرا

وجدير بالذكر أن اليقظة العربية قد غذاها ظلم الاتراك العثمانيين وطغيانهم ، حتى بشر الشعراء بيوم الخلاص القريب ، وكانت النتيجة أن استعذبوا الظلم الذى سوف يقربهم من يوم الخلاص .

ويقول فى هذا المعنى الشاعر فؤاد الخطيب ، وهو أحد الشعراء الوطنيين الذين عاشوا قبل الحرب العالمية الاولى :

يا آل جنكيز ان تثقل مطالبكم
على الشعوب فقد كانت لهم نعما
فالظلم أيقظ منهم كل ذى سنة
ما كان ينهض لولا أنه ظلما

ويمضى الشاعر يستحث العرب ويبشرهم بالآمال العريضة يوم يتخلصون من نير الاتراك فيخاطب قومه بقوله :

ايه بنى العرب الاحرار ان لكم
فجرا أطل على الاكوان مبتسما
لستم بنيهم ولستم من سلالتهم
ان لم يكن سعيكم من سعيهم امما
الى الشام الى أرض العراق الى
أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

والشعب العربى كما هو معلوم منتشر من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى . وقد عبر عن هذه الحقيقة الملموسة أحد الشعراء العرب ٧ يوم انشد بدمشق (سنة ١٩٢٠) يستحث همم العرب بقوله :

هبوا فامتكم امست على خطر
جارت عليها الاعادى جور مغتنم
حتى تسيل ربوع الشام مفعمة
دما يسيل الردى فى سيله العرم
وذمة العرب والايام شاهدة
لننشرن الوغى فى السهل والظلم
حتى يخلوا بلاد العرب أجمعها
من ساحل الروم حتى ساحل العجم

سمير وهبى

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

أصبح الطريق ممهدا

ويجب ان يعقد فورا

مؤتمر ادباء العرب

اسفر مؤتمر ملوك ورؤساء العرب عن نتيجة هامة ، هي انهاء الخلافات بين البلدان العربية وتنقية جو العلاقات بينها من جميع الشوائب .

وعلى ذلك ستعود العلاقات الودية ويزول ماكان موجودا من قيود وحواجز . وهذا يهمنا في مجال الثقافة والادب ، ويهم ما اسميناه في الاسبوع الماضي **بالحركة العربية الواحدة في اللغة والادب .**

وقد قلت ان هذه الحركة لم تنقطع ابدا ، بل ظلت متصلة ، تقوى عندما تخلو الامة العربية الى نفسها ، وتضعف بالتدخلات الاجنبية ، وقد سادها في السنوات الماضية التي غام فيها جو العلاقات بين الحكومات ـ سادها فتور كاد يؤدي الى التمزق والتفكك ، اذ فرضت قيود على تبادل الكتاب وقامت مشكلات تتصل «بالعملات» وغيرها ومنعت الصحف والمجلات من الدخول في بعض البلاد ، ووهنت الصلات بين ادباء العرب في مختلف اوطانهم .

والآن ـ وقد عادت السماء الى صحوها ـ نستبشر خيرا في المستقبل القريب ، سواء من ناحية الاهداف العربية العامة او من ناحية الحركة الثقافية في الوطن العربي الكبير ، ولاشك ان الناحيتين متفاعلتان ، فكل منهما تؤثر في الاخرى ، وقد كانت حركة الثقافة الواحدة دائما من اقوى الدعائم للحركة العربية العامة ، بل كانت الركيزة الوحيدة التي اتصلت في مختلف العصور وكونت وجدانا عربيا مشتركا .

وقد آن للقوى الثقافية المزدهرة الآن في الجمهورية المتحدة ان تتصل باصدائها ومثيلاتها في بقية البلدان العربية . فلابد ان ترفع الحواجز وتكسر القيود ويتسع التجاوب الثقافي حتى يشمل الرقعة العربية من الخليج الى المحيط . **والهدف المأمول هو أن يشعر كل أديب أو فنان في اي بلد عربي بانه مواطن عربي لايقف تعبيره ولاينحصر صداه في مجال محلي اقليمي .**

ونطالب الآن بالعمل على ان يجتمع مؤتمر ادباء العرب في اقرب وقت وفي اي مكان .

نطالب بان يصحو المكتب الدائم للمؤتمر في القاهرة من نومه .. من الغفوة التي اخذته منذ انعقدت الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب في الكويت سنة ١٩٥٨ .

والمفروض ان يجتمع المؤتمر سنويا ، ولكن ها قد مضى اكثر من خمس سنين دون ان يجتمع ، واعتقد ان هذا يرجع الى اليأس من امكانيات عقده في جو الخلافات الماضية ، وكان اتحاد الادباء بالقاهرة قد اجتمع في اواخر العام الماضي وقرر عقد مؤتمر الادباء في شهر مارس القادم على مستوى الجمهورية فقط .. واظن انه لاداعي الآن لهذا المؤتمر المحلي ، او لا ينبغي ان يعقد على انه بديل لمؤتمر ادباء العرب العام الشامل .

والآن لا عذر للمكتب الدائم بالقاهرة في ان يستمر في نومه .. فالنتيجة التي اسفر عنها مؤتمر القمة العربي تشرق وتؤذن بانتهاء الليل .

وثمة عديد من القضايا الادبية العربية التي تنتظر مؤتمر ادباء العرب ، واعتقد ان في مقدمتها الحركة العربية الواحدة في مجال الثقافة ، فحي على العمل .

الأدب الشعبي واللامعقول

كان الاستاذ توفيق الحكيم قد كتب في مقدمة مسرحيته اللامعقولة « ياطالع الشجرة » ان في ادبنا الشعبي مابعد من اللامعقول مثل :

يا طالع الشجرة	هات لي معاك بقرة
تحلب وتسقيني	بالمعلقة الصيني

وكأنه يريد ان يقول انه يستوحي روح ادبنا الشعبي ، او يوحي الى النقاد ان يقولوا بان لامعقولية توفيق الحكيم امتداد لادبنا الشعبي .. وفعلا تلقى بعض النقاد هذا الوحي وكتبوا ان كاتبنا الكبير يستمر في استلهام الادب الشعبي كما فعل في احلام شهر زاد ..

ولم يقل لنا الحكيم ولا النقاد لماذا يعد ذلك الكلام الشعبي من اللامعقول . ويظهر انه من اللامعقول ان يقال في اللامعقول انه لامعقول !!

حتى جاء الدكتور محمد مندور اخيرا يقول لنا في مقال بالجمهورية : « وكما ان هذا الموال (يقصد نشيد ياطالع الشجرة) لايمت الى اللامعقول بصلة تكذلك جاءت مسرحية (ياطالع الشجرة) فالموال انما يرمز رمزا شعبيا لطيفا الى الرجل الذي طلع الشجرة اى اسباب الثراء فاخذ الرجل الفقير يستعطفه لكي يعطيه او يأتيه ببقرة تسقيه لبنها الذي يشربه في ملعقة متواضعة من الخزف الذي يسميه الشعب بالصيني . وكذلك مسرحية توفيق الحكيم فهي الاخرى من رمزياته الذهنية التي عاد فيها الى معالجة مشكلته المزمنة مع المراة وانحاول بدهائه الفذ ان يضلل النقد والنقاد كما حدث فعلا عندما نشر تلك المسرحية » .

وهذا الكلام ليس فيه من الصواب الا ان الحكيم حاول ان يضلل النقاد ، حتى هذا ليس دقيقا ، لانه ضللهم فعلا ..

فاولا — نشيد ياطالع الشجرة ليس موالا ، انما هو من الاناشيد التي يتلهى بها الاطفال ، والموال له طابع آخر معروف . وليس هناك ملعقة من الخزف ولعله يقصد الملعقة الخشبية التي رأينا اهلنا بالريف يأكلون بها ، كما يأكلون من اطباق «الفخار» البدائية غير المطلية والتي لايسميها الشعب « بالصيني » .

ثانيا — مسالة الرمز في النشيد الطفلي .. مسالةعجيبة .. فالدكتور مندور اخذهذه الفقرات من النشيد وجد في تفسيرها ، ولاول مرة نرى من يجد لايجد ! فاي رجل هذا الذي استعطف وطلب بقرة .. ؟ ان النشيد من اوله يقول :

ابوح يا ابوح	كلب العرب مدبوح
وما عليه بتنوح	
بتقول يا ولدي	يا لابس الزردي
يا طالع الشجرة	هات لي معاك بقرة

... الخ . فالذي يقول هو « ام الكلب » التي تنوح على ولدها المدبوح ..

وايقل لنا اذن شيخ النقاد : من هو ابوح ؟ وما هو كلب العرب ؟ ومن ذبحه ولماذا ذبح ؟ والى اى شيء يرمز ابوح وكلب العرب وامه وذبحه ؟.

الواقع ان هذه الاناشيد الشعبية الطفولية انما يقصد بها مجرد التوقيع ولاترمى الى التعبير عن اى شيء لامعقول . ولا غير معقول . ويقول الاستاذ احمد رشدي صالح في كتابه « الادب الشعبي » — ص ٢٣٩ — : « ولكن اغاني الاطفال من ناحية البناء قد امتازت بالتبسيط والاغراب في الخيال لتشويقهم » .

وعلى ذلك نقول بان ادب توفيق الحكيم اللا معقول لايمكن ان يكون امتدادا او استلهاما للادب الشعبي الا اذا كان لايعبر عن شيء .. **واظن ان النقاد قالوا لنا كثيرا من الاشياء التي عبرت عنها مسرحية يا طالع الشجرة .. وان كنا لم نخرج منها بشيء.. فالدكتور لويس عوض مثلا كتب في هذه الاشياء مقالين كبيرين جدا بالاهرام ، فسر في اولهما ما تقوله المسرحية ، وفي المقال الثاني قال انه يفسرها تفسيرا ثانيا ، ووعد بانه سيأتي بتفسير ثالث في مقال ثالث اظن انه لم يكتبه !**

ورأى الدكتور مندور في مسرحية ياطالع الشجرة من حيث انها رمزية وليست من اللامعقول ، رأى غريب .. وهل يتنافى الرمز مع اللامعقول ؟ اعني هل يمنع كون الشجرة رمزا للفن وقتل المراة واتخاذها سمادا لشجرة الفن — كما قال — هل

يمنع ذلك أن تكون المسرحية من اللا معقول ؟

الظاهر ان النقاد هم ايضا يكتبون نقدا من اللامعقول !

ادباء الاقاليم والمسابقات والمجلات

تناول الزميل محمد عبد الله السمان في العدد الماضي من الرسالة — مشكلة ادباء الاقاليم بروح طيب يهدف الى مانرجوه لهم من الرعاية والعناية ، وقد صور هذه المشكلة المزمنة على حقيقتها وطالب بفتح المجالات الواسعة لذوى المواهب الادبية الواعدة ، فعبر بذلك عما نريده لهؤلاء المواطنين والابناء وما نبتغيه من شمول الحركة الادبية ونهضتها في سائر البلاد .

ولكني وقفت عند نقطتين في مقال الاستاذ السمان فاردت أن اعقب عليهما بما يزيل اللبس الذى صاحبهما .

النقطة الاولى خاصة ببعض المجلات الادبية — كما قال — التى خصصت ابوابا لعرض بعض ما في الصحف الادبية العربية والعالمية ولاينبغى أن تضيق بتخصيص باب يتناول الانتاج الادبي في مجلاتنا الاقليمية ..

والذى اراه هو ان توجد اولا الصحافة الادبية الاقليمية ، ثم تهتم بها بعد ذلك صحافة القاهرة . ولو كانت الاولى موجودة بالصورة التى تجعل مجلات القاهرة الادبية تعنى بها لما كانت هناك مشكلة . وانا اعتقد ان اول الطريق امام ادباء الاقاليم هو التجربة في حقل المجلات الاقليمية اولا . **وعلى المحافظات أن تهتم بانشائها كما تهتم بالمهرجانات ، والا يشغلها بريق هذه المهرجانات ومايكون لها من** صدى و « دعاية » في صحافة القاهرة — عن رعاية ادبائها وتهيئة مجالات النشر لهم .

النقطة الثانية ماذكره الاستاذ السمان عن المسابقات الادبية ، وما نقله عن بعض ادباء الاقاليم من تعليلهم لعدم البروز في المسابقات بمزاحمة اخوانهم في القاهرة ، لان هؤلاء اقدر منهم على الصلات الودية بالمسئولين عن المسابقات . وقد قال احدهم انه حضر الى القاهرة كي يقدم انتاجه بنفسه ويتصل بالمسئولين « وهو واثق بأن هذا الاتصال مما يساعد على اجازة انتاجه » ..

لست ادرى كيف يساعد هذا الاتصال على اجازة الانتاج ، او فوزه بالجوائز .. اذا فرضنا ان المسئولين تعوزهم النزاهة والعدالة .. فهل مجرد ان ياتى اليهم احد المتسابقين ويسلم عليهم يجعل كل شيء على مايرام ؟ اللهم الا ان يكون قد احضر معه لهم بعض الفطير « المشلتت » كم يطعم الفم وتستحى العين .. !

انى اعلم تماما ان هذه المسابقات تجرى بمنتهى الدقة والعدالة . ففى نادى القصة مثلا يفحص الانتاج بطريق السرية الذى يشبه تصحيح اوراق الامتحانات العامة ، ويقرا كل انتاج ثلاثة من النقاد والادباء المعروفين يراعى في تشكيلهم ان يمثلوا مختلف الاتجاهات . ثم تقوم لجنة اخرى بالمراجعة لضمان العدالة التامة .

الواقع أن مايقال من الطعن في هذه المسابقات انما مرجعه الى الحقيقة النفسية التى تقول بانه تبرير للعجز والاخفاق .

عباس خضر

في عالم الفن

نحو مسرح عربي

بقلم عبد الفتاح البارودي

كيف نخلق مسرحنا الحقيقي ؟! وهل مسرحنا الحالي ليس حقيقيا ؟ هل صحيح انه مسرح اوربي ومهما غيرنا فيه أو بدلنا او طورنا فستبقى طبيعته اوربية ؟! واذن فكيف نخلق المسرح النابع منا ومن طبيعتنا

هذه الأسئلة الهامة جدا ، الصريحة جدا ، اثارها الدكتور يوسف ادريس في بحث قيم بمجلة الكاتب ، ومع انه سبق ان اثيرت اسئلة مماثلة ، فانه واجه بها كل المشتغلين بالمسرح في وقت مناسب جدا لمواجهتها

فنحن اولا اصبحنا نمارس الفنون المسرحية كضرورة فنية ، بمعنى انها لم تعد مجرد ترف او تسلية .. ونحن ثانيا نلمس نشاطا مسرحيا ضخما وقائما على تخطيطات فنية ، بمعنى انه لم يعد ارتجالا او اعتباطا ... ونحن ثالثا نرى الشغف المسرحي يزداد بين الجمهور ، بمعنى ان التفكير المسرحي بدأ يتأصل في الوجدان والأذهان .. الخ ..

كل هذا يدعونا الى بحث مشكلاتنا المسرحية بعمق لارساء قواعد المسرح ارساء سليما في بيئتنا التي لم تعرف المسرح اطلاقا قبل ان ينقل اليها نقلا في اواخر القرن الماضي ، ولكن ما هي هذه المشكلات اولا ؟!

* * *

ان يوسف ادريس وضعنا في مفترق الطرق ، بل في مفترق طريقين محددين : (هل لم يعد هناك سوى طريق واحد على المسرح المصرى ان يمضي فيه ، وذلك بقبول الأساس « المعرب » والمضي في تطويره الى أن يتلاءم مع طبيعتنا أم لكي نكتشف مسرحنا الحقيقي الخاص بنا علينا ان نسلك طريقا مختلفا تماما ، بأن نكتشف انفسنا ، ونكتشفها في نقطة يكتنفها غموض كثير ، هي طبيعتنا الدرامية وكنهنا المسرحي ؟)

هذا تحديد للمشكلة كما تصورها ، وكما يتصورها كثيرون ، ولكن في رأيي ان هذه المشكلة ليست مشكلتنا الجوهرية ... ولكى نعرف مشكلتنا يجب أن نسأل انفسنا ببساطة: هل عرفنا التفكير المسرحي ؟ ! واذا كنا لم نعرفه فما هي الأسباب ؟ ان القاء الضوء على هذه الأسباب هو الخطوة الأولى لتحديدها تمهيدا لمعالجتها ، واذا عالجناها فسننتقل حتما من مرحلة التكهن الى مرحلة « المعرفة » ... انني لا ادرى لماذا لانحاول بحث هذه النقطة ، مع ان بحثها هو الأساس الأول لادراك اسباب عدم ظهور المسرح في بيئتنا

وهنا نواجه نقطة اخرى : هل عندما نقول « المسرح » نتصوره حتما بشكله الاغريقي فقط ؟! ولماذا لا نعترف بوجود اشكال أخرى ؟ !

بديهي أن « التمثيل » والتعبير به من خصائص الانسان .. فكل انسان يمثل باشارات مختلفة وباصوات مختلفة وبتكييف كلامه تكييفا معينا ، وباداء حركات معينة ، للتعبير عن احساساته ومشاعره ، ولابلاغ هذا التعبير للآخرين . . . وبديهي ان هذا كله لا يعتبر — في ذاته — فنا ، ولكنه تطور الى فن بعد أن مر بمراحل كثيرة نضج فيها ، وتكونت له مواضعات معينة ... لا خلاف في هذا بين انسان في الشرق وانسان في الغرب أو في أى مكان ، وانما حدث الخلاف نتيجة لاختلاف درجة النضوج ، ووصل النضوج الى ذروته ، اى الى مرحلة اطلق عليها اسم « دراما » عند الاغريق بالذات ، وفي القرن الخامس قبل الميلاد بالذات .. لماذا ؟ الأسباب كثيرة جدا ، وسأحاول الاشارة اليها ، وانما المهم الآن ان نعرف ان الدراما مرحلة « ناضجة » من التعبير ، وهذا النضوج له اسباب

ومكونات معينة لا علاقة لها بالبيئة بمعناها الجغرافي ، ولا بالاجناس كأجناس ، بمعنى انها اذا توافرت فى اى مكان وبين اى شعب ظهرت الدراما ... لو كانت الدراما شكلا من اشكال التعبير عند الاغريق فقط فلماذا لم تظهر عندهم بمعناها المتكامل الا فى القرن الخامس قبل الميلاد ؟ ثم لماذا امكن أن تظهر فى شعوب أوربا ؟! العبرة بتكامل التفكير الفنى فى اى شعب وفى اى عصر ، فاذا تكامل ظهرت الدراما ، وحينما يتكامل يكون ظهورها بالشكل الذى ظهر به عند الاغريق من حيث الجوهر والخصائص الرئيسية

* * *

ونحن من اجل ذلك لا نستطيع ان نطلق كلمة دراما على التشكيلات التعبيرية او الفنية أو حتى التمثيلية التى ظهرت عند الفراعنة فيما يسمونه احيانا المسرح الفرعونى ، وكذلك المسرح اليابانى القديم والمسرح الصينى القديم او غيرها من التشكيلات التى تشبه المسرح ، وهى ليست بمسرح اطلاقا ، لأنها تفتقر الى التفكير الدرامى القائم أساسا على « الصراع » بالمعنى الذى ادركه الاغريق لأول مرة فى تاريخ الادب والفن .

وطبعا ، ومن اجل ذلك ايضا اخالف يوسف ادريس فى تصوره وجود اشكال مسرحية غير الشكل الاغريقى ، أو فى تصوره أن « التجمع » الذى يحدث فى حياتنا اليومية فى الافراح والمآتم يمكن ان يعتبر لحظات مسرحية ، او فى تصوره أن « القافية » شكل مسرحى بدائى ، أو ان السامر الريفى مسرح شعبى ، او ان لحظات السمر والونس لحظات مسرحية .. الخ .. واذن فعندما كان على الكسار يقطع المسرحية « ويدخل قافية » مع المتفرجين لم يكن يؤدى عملا مسرحيا ، بل بالعكس كان يخالف طبيعة المسرح ... ولا ادرى لماذا استشهد به يوسف ادريس ، مع أن الكسار لم يخترع حكاية القافية، بل سبقه فى ذلك اسلاف كثيرون .

* * *

اننا لم نعرف المسرح لاننا لم نعرف التفكير المسرحى ... ونحن الآن نحاول معرفة المسرح لأننا نحاول معرفة التفكير المسرحى ، واذن فالأجدر بنا ان نتعمق فى هذا التفكير بمعرفة خصائصه ومكوناته ... ان غريزة المحاكاة غريزة فطرية عامة لا يتميز بها شعب دون آخر ، وقد تجلت منذ القدم فى انفعالات الانسان الاولى فى شتى اشكالها ... والاحساس التراجيدى عام ايضا ... انه عند اسكيلوس مثلا ، هو فى جوهره نفس الاحساس التراجيدى عند شيكسبير وابسن وكل مؤلف تراجيدى ، وكذلك روح الكوميديا عند اول كوميدى تتفجر من نفس الينبوع الذى تتفجر منه عند كل كوميدى ... وانما من المهم أن نعرف ان المسرح لم يصبح ادبا وفنا فى ٢٤ ساعة ، وهو قبل كل شيء تركيب فنى متشعب العناصر والأصول، وينمو ويزدهر اذا توافرت ، ويضمر او ينحرف ويموت اذا ضمرت او انعدمت كلها او بعضها . وهى لا تتوافر الا فى ظروف معينة ، وبكيفية معينة ... كيف ؟

للبحث عن هذه العناصر والأصول نلاحظ اولا تشابه قوالبه الرئيسية التى تشكل فيها، والمراحل الاساسية التى تطور خلالها فى جميع العصور التى نشأ او تطور فيها .. فقد بدا عند الاغريق فى نشأته الأولى تعبيرا روحيا خالصا ، اى مجرد عبادة للآلهة ، او تمجيد للأبطال الذين كانوا يتصورونهم انصاف آلهة ، ثم استحال — كما يقول الدكتور طه حسين — من طفولة وسذاجة الى شباب ونضوج ، فاصبح غير مقصور على ما يقوم به من واجب دينى ، بل تطور الى تمثيل الحياة الانسانية وما يبعث العمل فيها من عواطف مختلفة ، واصبح قصة هى مرآة تظهر فيها صورة من صور الحياة وما عمل فى تكوينها من عاطفة او هوى ، واصبح الجمهور يرى نفسه على مسرح التمثيل ، واصبح يبعث فى النفوس ثقة تحمل على الجراة والاقدام

والشغف بجلائل الاعمال ، او رحمة تدعو الى البر والاشفاق ، كما اصبح يحرص على ان يمثل للجمهور الجمال فى ابدع مظاهره حتى لا ينحط ويفسد ، والقضاء فى اشد ما يكون قوة على الانسان وعبثا به حتى لا يفتر ويطغى

كذلك ، او على نحو قريب من ذلك نشأ نشأته الثانية فى اوروبا ، وتطور ... فمثلا فى فرنسا نشأ المسرح دينيا اول الأمر ثم ظلا يمتد الى « الدنيويات» بقدر ما ينقطع عن الكنيسة ، وعندما جاء عصر النهضة وظهر الاتجاه الى الآداب الاغريقية . ولد ادب جديد يستمد دوافعه وعناصره من الانسان وطبائعه وتفكيره ...

وفى انجلترا نبتت جذور الدراما فى الدين المسيحى خلال العصور الوسطى .. وقتئذ كانت الكنيسة هى كل شيء كانت مكان الدين والعلم والاجتماع والفن، ومكان البهجة ايضا .. ان ديانة العصور الوسطى ـ كما يقول الارداس نيكول ـ وان كانت خطيرة وغامضة ، الا انها كانت رحيبة الصدر من حيث اتساعها للمسرات وتقبلها ، وكأنما قد انتهزت فرصة اقبال الجماهير عليها ، وشغفهم الذى اخذ يتزايد برؤية مضمون القصص المقدسة رؤية مجسمة او ممثلة ، فعمدت الى اظهارها وعرضها على هذا النحو ، وبهذا حاولت من جهة اخرى أن تتفادى ما كانت تخشاه من ضرورة ترجمة النصوص المقدسة الى لهجاتها العامية ..

ان هذا العرض كان يشير اشارات « رمزية » الى الموضوعات الدينية ، وفىالقرن التاسع اضيفت نصوص الى الموسيقى الكنسية ، واصبحت تعرض مع غيرها من النصوص فى شكل «حوار» ، وسرعان ما تطور هذا كله « بشكل معين » ، فأصبح « دراما » بالنضوج فى التعبير ، لأن الحوار نما واغتنى ، والحركة تنوعت ، ودخلت اللهجات المحلية ، وهكذا اقتربت الدراما الدينية نحو الناس ونحو الموضوعات الدنيوية ، وانتقلت من المجردات الى الاختلاط بشخصيات فى عالم الواقع الى حد كبير .

* * *

كل هذا شبيه بما حدث فى فرنسا وفى اى بيئة نشأ فيها المسرح .. والى جانب هذا التشابه فى الموضوع نجد تشابها آخر فى نوع التعبير ... ان التطورات التى حدثت فى التعبير الادبى فى خلال ظهور الاداب الاوروبية ، هى فى جوهرها نفس التطورات التى حدثت خلال ظهور الاداب المسرحى عند الاغريق ، من شعر غنائى وهجائى وتعليمى وقصصى ، الى ملاحم تحكى اعمال البطولة ، الى دراما .. ونفس التطورات حدثت فى الادب الرومانى ، وفى الأدب الاوربى بنفس التسلسل .

* * *

ان هذا كله يؤكد لنا أن المسرح فن له مقومات ومظاهر معينة ومحددة ، بمعنى انه « كائن حى » يتطور فى قوالب معينة لا تختلف فى جوهرها فى اى بيئة ، ولا فى اى عصر ... فهل معنى ذلك اننا اذا اردنا انشاء الادب المسرحى الخاص بنا وبطبيعتنا علينا أن نلزم انفسنا باحتذاء نفس التطورات : وهل المسألة مسألة محاكاة لمجرد المحاكاة ؟ ان فرنسا حينما حاكت الأنماط الكلاسيكية ازدهر فيها المسرح فى القرن السابع عشر مثلا ، بينما فشلت فرنسا فى المحاكاة فى القرن الثامن عشر مثلا .. ومعنى ذلك ان احتذاء الاغريق ليس مجديا ولا ممكنا ... ثم ان وظيفة المسرح لم تعد بالضبط نفس وظيفته الاولى لا عند الاغريق ولا فى اوروبا .. اننا الآن اهتدينا الى نظريات مختلفة فسرت العلاقة بين الشعر والطبيعة ، وشرحت التصور الشعرى على ضوء ما استفادت البشرية من تجارب خلال احقاب طويلة .

واذن فلا يكفى ان نبحث تطورات الاشكال والقوالب المسرحية ، بل من المهم ان نبحث اسباب ازدهار الفن التمثيلى فى عصر ما دون عصر آخر وفى شعب ما دون شعب آخر ... علينا ان نعرف بعمق مكونات ومقومات المسرح ليمكن توفيرها او تدعيمها فى بيئتنا ... علينا ان نعرف العوائق التى عاقت دون ظهور المسرح فى ادبنا القديم ، الى ان نقلت بعض الوان الينا نقلا زائفا ... علينا ان نعرف لماذا كان هذا النقل زائفا

باختصار ان بحث وسائل تكوين وتطوير مسرحنا بالمعنى العلمى يحتاج الى دراسات عميقة، ويجب ان يتحمل كل المثقفين مسئوليتهم عن هذه الدراسات .

عبد الفتاح البارودى

الفكر فى أسبوع

يقدمه : تحسين عبد الحى

فلسطين بين الادب السطحى
والنماذج المهجورة

عاشت الأمة العربية أياما خالدة ــ ارتفعت فيها قياداتها الى مستوى مسئولياتها ووجودها القومى ــ عندما اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية لبحث القضية الفلسطينية .. فى مؤتمر القمة العربى .

ولا شك انه سوف يؤرخ لتاريخنا القومى على أساس ما قبل المؤتمر وما بعده لما كان له ولما سوف يكون من آثار بعيدة المدى على حركة النضال العربى الواحد ضد الخطر الصهيونى على الوجود القومى العربى ..

ونحن هنا لانود ان ندخل فى بحث الصلة بين السياسة والادب .. **الا ان الأدب فى صورته البسيطة ــ تعبير عن الحياة ــ فى بساطتها وتعقيداتها وفى أهدافها وتطلعاتها ــ وهو كذلك مرتبط بالتحركات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ــ للمجتمع ــ فالسياسى عندمايخاطب الفرد يخاطب فيه العقل ومصالح وطنه وأمن امته ومستقبل ابنائه .. ويخاطب الأديب فى الفرد شعوره ووجدانه وانسانيته** ــ ومن ثم ــ فلا بد للأدب من ان يعمق المفاهيم العقلية والمصلحية ــ فى شعور ووجدان الانسان وذلك لكى تتساوى ــ دوافع ــ الشعور والاحساس مع دوافع العقل والمسئولية .. نقول ذلك لأن أدباءنا قد عزلوا انفسهم عن ركب النضال القومى لأمتنا فى كثير من معاركها ــ وخاصة معركة العودة الى الوطن السليب ــ فلا يستطيع المرء الا ان يشعر بقصور الحركة الأدبية العربية فى هذا المجال اللهم الا بعض الاعمال المتناثرة هنا وهناك وأكثرها فى ميدان الشعر .. والشعر الانفعالى بالذات ــ الذى يملأ الدنيا ــ نواحا وصفيرا ــ

ووقف ادباء القصة ــ موقفا يتسم بالجمود وعدم الحركة ــ **فنجيب محفوظ مثلا عندما ارخ لمصر فى الثلاثية ــ قدم لنا من خلال نماذجه البشرية العادية كثيرا من الاحداث التى ربما لايعيها القارىء العادى عندما يقرأ كتب التاريخ التى تعتمد على سرد الاحداث السياسية بل ربما لايستطيع ربط هذه الاحداث وتطوراتها ..**

ونكبة فلسطين ــ وطرد اللاجئين العرب من ديارهم محتوى كبير ملىء بالنماذج والمآسى الانسانية المهجورة والتى اذا ما احكم وضعها فى عمل فنى فسوف يكون لها من الأثر مايعادل مئات الكتب السياسية المدعمة بالخرائط والحقائق الموضوعية .

ان مشاعر اولئك الذين يعيشون فى الخيام وسط ثلوج الشتاء والحرمان ــ تحتاج الى ان تحشد فى عمل فنى بدلا من تصوير بعض أدبائنا لقلقهم الجاف واحاسيسهم الصبيانية .. وشجرة الزيتون المزروعة فى القسم العربى والتى تتدلى بعض فروعها فى القسم اليهودى ــ والبعض الآخر فى القسم العربى ــ وفى وقت الحصاد ــ ــ يجنى العربى فرعا ويجنى اليهودى فرعا آخر ــ ما هى مشاعر العربى الذى يرى غيره يقاسمه فى شجرة زرعها بيديه . ؟

ان اللاجىء أشبه بغريق يائس معلق فى خيط من الرجاء بين شقى مقص الفناء ــ يفتح له الوهم بين كل قطرتين بحرا ــ وبين كل موجتين قبرا ..

اين هذا اللاجىء فى أدبنا .. ؟

والام التى فقدت فلذة كبدها والاسرة التى فقدت عائلها وسط مذابح قبية وديرياسين ــ اين هم فى عقول ادبائنا وأعمالهم الأدبية .

اين ضياع هؤلاء الاخوة العرب فى حياتهم .. اين .. اين .. **انها كلها نماذج مهجورة تنادى الاديب الفنان ليخلق منها حقيقة فى مشاعر واحاسيس قرائه ــ بدلا من الصيحات التائهة فى**

شعاب اللامعقول .. استيقظوا أيها السادة قبل ان تدينكم امتكم .

« مع الامناء »

اجتمع الامناء حول رائدهم هذا الاسبوع رغم البرد والصقيع الذى اجتاح القاهرة

وكان موضوع المناقشة الذى اشترك فيها الحاضرون من موضوعات الساعة وهو ـ موقف الادباء الناشئين ـ من الحركة الادبية ـ وموقف الصحافة الأدبية منهم .. وصلة هؤلاء ـ كجيل ـ يجب ان يثبت وجوده بالنضال الذاتى ـ بلا احساس بأية ازمة ـ ثم الادب الغربى واثره فى حياتنا ..

وكان راى الاستاذ امين الخولى يتلخص فى ان القضية تتلخص وببساطة فى ان الكثير من شيوخ الأدب عندنا قد أغفلوا عنصر الزمن فى التطور الثقافى والأدبى .. ومقاييس هؤلاء البعض ـ مازالت مرتبطة بما اخذوه من الثقافة الغربية فى المرحلة التى تذوقوا فيها الأدب والثقافة الأوربية.. ومن ثم فهم يقفون أمام التطور الجديد للثقافة الانسانية موقفا صلبا .

فكل تطور ثقافى ـ فى أى مكان ـ انما هو ـ بمثابة تجارب انسانية تقام فى معامل الحياة ـ لكى يستفيد بها ومن نتائجها البشر فى جميع انحاء المعمورة ـ ولهذا يجب الا نقف امام اى عمل جديد متطور موقف الشك بحجة أنه يمثل مرحلة معينة من التفكير والحياة ـ وانما يجب ان نراه ونتذوقه ـ قبل ان نحكم عليه .

اما الأدباء الناشئين ـ **فلا يجب عليهم .. ان يعتقدوا أنهم اليوم فى ازمة ـ وانما يجب ان يعترفوا ان فرص اليوم تزيد كثيرا عن الفرص التى كانت متاحة لغيرهم منذ جيلين على الأقل ـ فادباؤنا الكبار اليوم ـ ناضلوا فى ظروف اصعب بكثير ـ فقد صنعوا عقولهم بأنفسهم وكانت اضافاتهم الثقافية بمجهودهم الخاص .** ولهذا فان التأزم والشعور بالضياع أشياء قاتلة تحد من الامل الواسع العريض فى المستقبل الذى يجب ان يشيدوه هم بانفسهم .

ايران
وحتمية التاريخ
تاليف : جاد طه ..

ويحتوى الكتاب على دراسة لايران كبلد اسلامى من الناحية الجغرافية والبشرية .. وكيف ان ارضها الجبلية الوعرة قد خططت الى حد ما لبعض فصول تاريخها القديم ..

وأوضح المؤلف ـ اتفاق معظم المؤرخين ـ على ان الفتح العربى لايران ـ هو اهم فترة فى تاريخها على الاطلاق لأن الدين الاسلامى ليس دينا فحسب بل هو دين وثقافة وحضارة وهو تشريع ونظام للحكم ..

واشار الكتاب الى اهمية ايران فى مجال التنافس الدولى ـ وكيف انها تشغل حيزا هاما فى الصراع العالمى بين القوى الكبرى .

وذلك لانها الحاجز الطبيعى بين روسيا وباقى قطاع العالم الخارجى ـ ولانها تقع على اهم طرق الاقتراب الرئيسية لبريطانيا الى الهند والشرق الاقصى ـ ولانها كذلك تنتج كميات كبيرة من البترول وبين الكتاب ان ايران تسير بخطى واسعة فى طريق الثورة ـ فالشاه محمد ابن رضا شاه بهلوى هو نفسه الذى يعد النفوس لهذه الثورة ـ فهو يشايع الاجانب على مصلحة اهل البلاد الوطنيين ويناوىء الحركة الوطنية ويضع الاحرار فى السجون ـ ويحول ايران الى سجن كبير فيه كل ابناء الشعب ـ بل وتمادى الى اكثر من ذلك فاعترف باسرائيل ـ دولة الاجانب والعصابات التى اغتصبت فلسطين العربية متناسيا الصلات الوثيقة بين العرب والايرانيين منذ صدر الاسلام الاول ..

كل هذه العوامل مجتمعة سوف تودى بلا شك بحكم الشاه فى ايران ـ ليعود وجه ايران الوطنى الاسلامى

الاخ والصديق للعالم العربى ..

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

رد على رد

حاول الاستاذ العوضي الوكيل في العدد ١٠٤٢ من الرسالة الغراء ان يرد على محاولتي الهادئة لرد بعض شططه فيما سبق ان كتبه عن مهرجان الشعر العربي الخامس وتناول فيه قصيدتي (الى ولدي) واول مالفته واثاره اني كنت هادئا موجز القول وسمى ذلك (بكاء واستبكاء في كلمة واحدة) ناسيا أن الهدوء سمة الواثق وأن الايجاز حكم الصحيفة.

ولو كان الامر يتعلق بي لما حاولت ان ارده ، ولكنه تناول مسائل عامة يفوق الحديث فيها كل مايحاول الناقد أن يحشو به صفحات المجلة من مترادفات للثناء ، قال سيادته — في مجال مايسميه نقدا — « ان الشيء الذي لاطعم له ، طعمه انه بغير طعم » وقد تكفل شوقي رحمه الله بالرد على هذا حين قال (ومن يك ذافم مر مريض ...) و (وماضر الورود وما عليها ...؟) .

ثم قال «انا لااستجدى الرضا بما أكتب عما اكتب كما يريد بعض الشعراء أن يستجدوا التصفيق حين ينشدون فيرتجلون أولا يرتجلون » وفي هذا القول ادعاء مردود ، وغمز مستور . اما الادعاء فرده انه لم يحدث أن تعمد كاتب استجداء الرضاء كما يفعل صاحبنا وآية ذلك — في ايجاز شديد — انه تناول في مقاله بالعدد ١٠٤٠ شواعر المهرجان . فأثبت للاولى « قدرتها على الصياغة الشعرية الرصينة » والثانية « قصيدتها متكاملة الفكرة تدور على محور واضح في ذهن الشاعرة » والثالثة قصيدتها تمتلئ بحرارة الصدق وتعينها تلك الحرارة على اجادة الصياغة ، والرابعة « وفقت كل التوفيق في الجمع الذهني لعناصر موضوعها » . والخامسة « الفاظ قصيدتها وثيقة الصلة بموضوعها » والسادسة ولها قصيدتان فقال عنهما « كلتاهما رفيعة المستوى سواء من ناحية المضمون ومن ناحية النظم » وهكذا يجهد الناقد — الذى يزعم انه لايستجدى الرضاء — نفسه في تكييف أسلوب الثناء ليلائم الشاعرات على اختلافهن ، قاصرا عن ادراك أنه يغضبهن جميعا من حيث لايدرى لانه يسوى بينهن .

اما الغمز فهو في الاشارة الى استجداء التصفيق وهذا يثبت أن قصيدتي قد اهتز لها جمهور السامعين فصفقوا لها كثيرا ، ولعل هذا هو مااثار صاحبنا ، وذوق الجمهور في كثير من الأحيان يفضل راى الناقد مهما كان .

والغمزة الاخرى في الاشارة الى الارتجال يقصد بها الناقد ماحدث في المهرجان من ان دوري في الالقاء كان عشية ان اطاح الشعب العراقي بشرذمة البعثيين الشعوبيين وبدت في الافق العربي اعلام الوحدة ، فالقيت ابياتا في تحية بغداد كانت الشهادة ممن اعتز بشهادتهم من كبار النقاد — وهم كثيرون — شيئا جادا له وزنه في المهرجان ، وقد نوهت بها صحف كثيرة منها الرسالة والثقافة . جاء من هذا أن القصيدة ربطت المهرجان بالاحداث وكانت دليلا على فاعلية الفن وانطلاقه في معايشة الجماهير .

محمد التهامي

رد على نقد

قرأت نقدا للسيد عدنان اسعد لبعض كلمات وتعبيرات في قصيدة لشاعرنا الفيلسوف الكبير الاستاذ محمود حسن اسماعيل نشرها بالرسالة (العدد ١٠٣٦) بعنوان : «وراء الوجوه المستعارة وهي تزيف حقيقة الانسان» .

ولقد انتقد على الشاعر استعماله لكلمة (الستار) بدل (الحجاب) بحجة ان (الحجاب) اقوى من (الستار) في كشف الغيوب ، والحقيقة ان الشاعر لم يقصد كشف الغيوب ، وانما اراد كشف الغموض في حقيقة الوجوه الانسانية التي يطلب من اجلها لقاء الله ، سيما وان الشاعر يدعي انه لاتستعصي عليه معرفة الوجوه التي ملها ، ولو سكنت غاب الغيوب المنيعة ، فيقول :

عبرت فضاء الله صياد اوجه
ولو سكنت غاب الغيوب المنيعة

فالمناسب (الستار) لا (الحجاب) لكشف هذا الغموض لان الامرلو كان من الضخامة بمكان لاستعمل الشاعر وهو الفيلسوف العليم بأسرارالكون والنفس الانسانية كلمة (الحجاب) . ولقد تطورت كلمة (الستار) في التعبير فاصبحنا تسمع كلمة (الستار الحديدي) وأصبحت تؤدي تقريبا المعنى الذي يريده الناقد بكلمة الحجاب . ولكن في غير مكان القصيدة .

وانتقد على الشاعر استعمال الواو في (وأعزف) ظنا انها زائدة ، ولكن الحقيقة أنها غير زائدة لانها دخلت على جملة اسمية حذف المبتدا منها ، والتقدير قبل الحذف ، وانا أعزف .. الخ في بيت شعره :

وهو توالت والرباب على يدي
وأعزف للانسان . . . الخ

خصوصا وان الشاعر بدا العنوان بحرف المبتدأ فالواو هنا لازمة لانها دخلت على جملة اسمية تعرب حالا .

وعاب على الشاعر استعمال (زوايا) بدلا من (طوايا) النفس أو (خبايا) النفس ، والشاعر موفق في تعبيره حين قال :

ودرت حواليها وطرفي ساكن
يجوب زوايا النفس في كل نظرة

لان كلمة (يجوب) تدخل على الامكنة بدون حرف بخلاف (طوايا) و (خفايا) فهما اسما مفعولين تتعدى اليهما بواسطة مثل (في) ، ولا شك أن الزوايا من الأمكنة وكان الشاعر من الممكن ان يقول (نواحي) ولكنه آثر (زوايا) لانها محل الخفايا ، وهو معنى يقصده الشاعر ، وكان يعاب على الشاعر هذا الاستعمال لو انه تلاعب به تلاعبا بديعيا ، وأخذ على الشاعر استعماله (والها) في بيته :

ولا من أتاني والها متذللا
ويخنق في عينيه ظل المكيدة

فهو يقترح (ضارعا) بدلا منها ، والحقيقة أن تعبير الشاعر أروع لان فيه تنويعا بين الوله والتذلل ، والوله الذي يقصده الشاعر هو الادعاء والتحايل ، وهو مناسب لقوله (المكيدة) ، قالوا له في نظرالشاعر مجنون ، لان محاولاته لاتجدى فتيلا مع نظرة الشاعر الفراسة بخلاف (ضارعا) لانها في معنى (متذللا) واعترض على الشاعر في قوله :

تناقض حتى خلت عدة أوجه
توالت لعيني زمرة اثر زمرة

وقال ياحبذا لو استعمل (صورة) اثر (صورة) بدلا من (زمرة) اثر (زمرة) لان تلك الوجوه بطبيعتها تاتي فرادى ولا مفر .

والحقيقة ان الشاعر فطن وبليغ في تعبيره ، لان (زمرة) المكرر يلائم قوله (تناقض) و (خلت) فهو يدعي أن هذا الانسان تناقض في أموره حتى انه لم يعرف الحق من الباطل ، فهو لم يعدله وجه واحد وانما له وجوه زمر أي جماعات ، لا يعرف أيها الحق وايها الباطل .

وينتقد على الشاعر قوله (بحر بلا ماء) في بيته :

وبحر بلا ماء وموج بلا صدى
يغمغم شيء فيه من كل وجهة

فالناقد يقول : (والبحر ماسمي بحر الالوجود الماء فيه) .

وهو على حق لو ان الشاعر قصد هذا المعنى القريب ، ولكن الشاعر أراد معنى أعمق ، على حد قوله تعالى : «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ما ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا» .

والشاعر يقصد أن اوجه الناس تغيرت وتناقضت حتى أصبحت على غير شيء ، وانما هي اوجه جوف ليس فيها أي غناء .

بريد القراء

فى القصة

يقدمه : صبحى الجيار

❊ « لا بد ان تشرق الشمس » عنتر عبد السلام مخيمر

قصة وطنية تحكى مأساة سجين جزائرى ، يحاول الفرنسيون ان ينتزعوا منه اسرار جيش التحرير ، لكنه يصمد فى شجاعة نادرة امام تعذيبهم له باسلاك الكهرباء ، ولا يملك الا أن يبصق على السجان الفرنسى ، الذى يثور غاضبا ، ويهوى عليه بسوط غضوب فى ضربات عشواء حتى يغمى على السجين الجزائرى ، دون أن يعترف بكلمه واحدة . وينهار الجندى الفرنسى فى اعياء وهو يقول : ان شعبا فيه مثل هذا الرجل لا بد ان ينتصر .

● **هذه صورة ادبية اكثر منها قصة بمفهومها الفنى . فليس حدث او صراع نفسى ، او حتى رسم واضح للشخصية الرئيسية وهى السجين الجزائرى . والصورة كلها وصف من الخارج لعملية تعذيب مالوفة وباسلوب خبرى .. لكنه جيد .**

❊ « نهاية المطاف » مراد صبحى بدمنهور

تبدأ القصة بشاب تكاثفت عليه أحداث الحياة حتى أدت به الى الجنون . وراح يهيم على وجهه فى الطرقات . ثم يعود بنا المؤلف الى طفولة هذا الشاب ، فنرى أباه يموت وهو مازال بعد طفلا صغيرا ، فتصارع أمه الحياة حتى تكفل له حياة كريمة يتم فيها تعليمه حتى يتخرج فى الجامعة . ثم تموت الأم فجأة وتتركه بلا عائل . ويساعده أهل الخير على الالتحاق بوظيفة ساع . ثم يدرس للحصول على شهادة تحسن مركزه . وعندما يحين موعد الامتحان ، لا يصرح له رئيسه باجازة . وتحتدم بينهما المناقشه، فيثور ويعتدى على رئيسه حتى يسيل دمه . ومن ثم يطرد من عمله بعد محاكمة تاديبية ، ويهيم على وجهه فى الطرقات .

● **يميل المؤلف كثيرا الى المبالغة والتهويل ، وقد لجا الى افتعال الاحداث القدرية حتى يخلق لنا فى النهاية نموذجا لشاب محطم مجنون . وارى ان التسلسل المنطقى لاحداث القصة كان يجب أن يتخذ اتجاها آخر يطابق شخصية بطل القصة التى رسمها المؤلف على انه شاب مكافح عنيد ، متفائل فى اقسى الظروف ، طموح الى اعلى الدرجات العلمية ، يبنى مستقبله من نقطة الصفر ، حتى اصبح على أبواب الشهادة الثانوية ، التى يعبر منها الى الجامعة .. هدفه الأعلى . هذه الشخصية القوية لا يمكن أن تنهار الى درجة الجنون لمثل هذا السبب ، الذى كان من الممكن تفاديه ، ولو بشىء من التضحية .**

❊ « ابنة الشهيد » عبد المنعم حسن صالح

قصة تصور حالة نفسية لفتاة تسمع خبر نجاحها فى الثانوية العامة فبدلا من أن تفرح ، تراها تصعد درجات السلم فى « ضعف الشيخوخة أوتثاقل المحزون » على حد تعبير الكاتب . وتلجأ الى سريرها ، فتخرج من بين حشياته صورة ابيها الضابط الذى استشهد فى معركة العدوان الثلاثى . وتأخذ فى البكاء وهى تقبل الصورة . ثم تدخل عليها امها ــ التى تزوجت بغير ابيها ــ حاملة كوبتين من الليموناده ، فتمسح الفتاة دموعها .. وتنتهى القصة .

● **لا اريد أن الوم المؤلف الذى ابكى الفتاة يوم نجاحها . فاحيانا يتذكر الانسان احباءه يوم فرحته ، ويتمنى لو انهم كانوا يشاركونه هذه الفرحة . ولكن المؤلف لم يتغلغل بقلمه فى اعماق الفتاة ، ليصور لنا احاسيسها المتضاربة بين حاضرها السعيد وذكرياتها الحزينة . ثم يقول المؤلف فى نهاية قصته ان الأم قد اطمانت الى نجاح حيلتها ولا ادرى ماذا يقصد بهذا الا ان تكون فكرة الليموناده هى الحيلة المقصودة . وهى فكرة ضعيفة كخاتمة للقصة .**

❊ « موتى خارج القبور » مصطفى السيد الجبرينى .

قصة أم من لاجئى فلسطين ، تشرح لابنها ــ لاول مرة ــ قصة طردهم من ديارهم . وان عليه ان يسترد الارض المسلوبة ، بأن يثابر على تحصيل دروسه .. الخ .

● **القصة عبارة عن خطبة منبرية طويلة ، تعالج قضية فلسطين فى قالب ساذج . والاسلوب يحتاج الى مزيد من الصقل .**

فى المقال ١٠

● **الشريعة والتطور :**

للاديب : **محمد الطاهر الصفتى أمين سر نيابة سوهاج الكلية ،** مقال حماسي تحت هذا العنوان ، فهو يدهشه أن يفكر البعض فى الغاء بعض القوانين والاحكام والشرائع بمجرد أن يصاب أناس بضرر نتيجة تطبيقها ، او يسيء أناس استعمالها .

ويضرب الاديب مثلا ببعض الصيحات التى تلح فى الغاء بعض الاحكام المتعلقة بالاحوال الشخصية كالطلاق وتعدد الزوجات ، ويرى اننا لو بذلنا جهدا فى توعية المواطنين لامكن التغلب على سوء استغلالهم للطلاق وتعدد الزوجات ، ثم يختتم مقاله قائلا :

« اننى لا أعنى بذلك أن نقف جامدين ازاء القوانين والتشريعات ، وانما اعنى أن لا نقدم على تغيير قانون او تعديل تشريع الا عندما يتأكد الضرر ويعم الفساد » .

واود ان أذكر الاديب المتحمس ، بانه ليس هناك من يقوى على التفكير فى الغاء نص من نصوص الشريعة المتعلقة بالاحوال الشخصية ، والمسألة تنحصر فى تطوير افهامنا تجاه نصوص الشريعة بما يدفع الضرر ويحقق المصلحة ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله كما يقول الاصوليون ، ولا يجهل مثقف أن لولاة الامور التدخل اذا أساء البعض استغلال نص شرعى ، ولعل أقرب الامثلة ما حدث من عمر بن الخطاب حين رأى الناس يسرفون فى استعمال الطلاق الثلاث فاقره ثلاثا ، وكان يقع واحدا فى عهدى الرسول وأبى بكر وطرفا من عهد عمر نفسه .

● **من محاولات اغراق التراث :**

وهذا مقال للاديب : **عبد الفتاح بركات المدرس بمعلمى فاقوس ،** كتب تحت هذا العنوان يقول : « على يد «هولاكو» أحد المخربين أغرقت مكتبة بغداد ، ومع كل هذه المحنة العاتية بقيت المدنية وانتصرت الحضارة ، ولم يفد من الجريمة أهلها بقدر ماجعلتهم احدى الفصائل غير الشريفة فى موكب الانسان .. ومنذ تسع سنوات حاولت جماعة أن تجعل من كل تراثنا كومة من رماد ، واعتبرت اللغة ــ وهى أهم أوعية القومية ــ أمرا هامشيا لا دخل له فى العمل الادبى ، فصورة الادب ليست هى اللغة بل هى عملية داخلية فى قلب العمل الادبى لتشكيل مادته وابراز مقوماته » .

ويختتم الاديب مقاله بقوله : « حين كانت تجدى القوة الغاشمة وضعت الكتب تحت حوافر الخيل ، وعندما سيطرت « المذهبية » برزت أقلام ترتدى ثياب الكهنة لتمزق التاريخ وتلوث الذوق تحت أستار كثيفة من المناهج المستعارة » .

الحق مع الاديب فيما كتب ، وكنت اود أن يكون أكثر وضوحا ، فلم يقدم نماذج لها سندها من الكتابات كما ذكر ، بل قدم رموزا مقتضبة ، ونحن لا ننكر ان المحاولة التى أثارها قائمة بيننا ، ولكنها لن تكون سوى محاولة فاشلة ، اللهم الا اذا أردنا أدبا لا يمت الى مفهوم الادب الصحيح بصلة .

● **وداعا لحيتى :**

تحت هذا العنوان بعث الشيخ **محمد سعيد الزواوى الامام الاول بالجامع الحنفى بالجزائر ،** بمقال ، يحكى فيه قصته مع لحيته التى لجأ اليها مضطرا سبعة أعوام كاملة ، فارا مع غيره من المكافحين الجزائريين من بطش الاستعمار الفرنسى ، ولم يجد الكتابات كما ذكر ، بل قدم رموزا مقتضبة ، ونحن فرنسا ، وهو الذى كان يبغض اللحية وينفر منها منذ وطر شاربه ، ووهى أبغض اليه ، واكثر نفورا منها فى عرمه .

والكاتب اذ يودع لحيته بعد أن نالت الجزائر استقلالها ، لم ينس لها فضلها : « **ما وجدت ملجأ الا اليك ، ولا منجى الا بك ، ولا مخلصا الا فى حماك المنيع .. لقد فررت الى جحرك فرار الارنب الضعيف من الذئب المسعور ، فآويت وسترت ، وان فضلك على لن أنساه ما بقى فى حياتى منزع ، ساذكرك بكل جميل ، واثنى عليك بما اثنى به كل حر كريم** » .

الواقع أن : المقال قطعة أدبية جاءت باعثة حينا ، ورائعة أحيانا ، ولا سيما وهو يذكر أنه ليس وحده الملح على فراقها ووداعها ، فهناك زوجة وام أولاده الخمسة ، ورفيق حياته منذ ربع قرن ، ترى اللحية العن ضرة معها ، وهو لذلك لا حيلة له فى أن يطلق الضرة طلاقا لا رجعة فيه ، بعد نكاح متعة عاش سبعة أعوام .

فى الشعر

● **مؤتمر القمة :**

بعث الاديب الشاعر الاستاذ **محمود جبر** بهذه الابيات **تحية لمؤتمر القمة :**

يا صفوة من جنود الحق هل لكمو
من موقف سوف يبقى فى غد لكمو
الفخر يذكره والدين يشكره
والكفر يحذره والشعب يبتسم
فبايعوا الله ان الله بايعكم
واعلنوها ... فان الله منتقم
ضياغم العرب هذا موقف عجب
تحنى له الهام اجلالا لكم أمم
يا صفوة الخير صهيون طغوا وبغوا
وشردونا ... فردوا كيد من ظلموا
سبحانك الله قد أعليت قدرهمو
فاجمع بفضلك يا مولاى شملهمو

● **العزة والكرامة فى شعر هاشم الرفاعى :**

وتحت هذا العنوان كتب الاديب : **محمد الخضرى عبد الحميد** مقالا ضافيا ، ترجم فيه لسيرة الشاعر ومسلكه وقدم نماذج من شعره الثائر فى اطار من العزة والكرامة ، فهو يقول على لسان شهيد تحت المقصلة فى قصيدته « ليلة التنفيذ » :

هذا دمى سيسيل يجرى مطفئا
ما ثار فى جنبى من نيران
وفؤادى المواز فى نبضاته
سيكف فى غده عن الخفقان
والظلم باق لن يحطم قيده
موتى ولن يودى به قربانى
ويسير ركب البغى ليس يضيره
شاة .. اذا اجتثت من القطعان

ان مقال الاديب جيد لولا أن الرسالة سبق لها أن نشرت قريبا منه عن الشاعر الفقيد ، وكان من الممكن أن يجد مثل هذا المقال طريقه الى النشر كاملا لو اختار الكاتب زاوية محدودة من شعر هاشم الرفاعى ، فابرز خصائصه ، وأقل من اسرافه فى الترجمة له ترجمة عادية لم تات بجديد .

● **يا أمى الشهيدة :**

تحت هذا العنوان كتب الاديب **طاهر نبهان بالمعهد العالى التجارى بالمنصورة** قصيدته، على لسان لاجئة عربية وهى واقفة امام أحد القبور :

امى وداعا آه يا أمى الحبيبة
أمى طواك الموت فى أرض غريبه
امى وداعا فى ثراك هنا بعيده
عن أرضنا عن أرض آبائى السليبه
يا أم عهدا ان رجعت الى بلادى
ان أنصفونى اخوة لى فى العروبة
ساعود أحمل من رفاتك ما تبقى
وهناك أودعها بمقبرة قشيبه
ويحيطها الزيتون فى أعلى الروابى
وتظلها من ادمع الفرح سحابه

تناول الشاعر معانى عظيمة فى قصيدته ، غير أنه تهاون كثيرا فى قواعد اللغة ، كما هو واضح فى ابياته الاخيرة ، وما فى الابيات التى لم تنشر ما هو أعظم ، مع أنه كان فى استطاعته التخلص من كثير من أخطائه ، فالفعل أحاط مثلا ومضارعه يحيط يتعدى بالباء ، والفعل حاط ومضارعه يحوط يتعدى بنفسه ، ولو جعل مكان يحيطها ، يحوطها لما اختل المعنى أو الوزن ، ولسلمت اللغة .

● **مقتل مزارع فى أنجولا :**

وتحت هذا العنوان كتب الشاعر **يوسف محمد يوسف بأم درمان** قصيدة طويلة جاء فيها :

مات الذى ذرف العروق لأرضه
والناس من محراثه تقتات
جبل الذهول على يديه محطم
فتحررت من كهفه اليقظات
ويسيل نهر النار من كلماته
فتشب من وهجاته الساحات
كفان غللها الردى لكنما
فى كل انسان لها طفرات

الشاعر لم يستطع تصوير قضية الاستعمار فى انجولا ، واكتفى بمأساة مزارع قتل ، وأهمل قواعد اللغة فى كثير من ابياته ، كما هو واضح فى كلمتى (العروق وغللها) ، وبالغ فى تشبيهاته كما هو واضح ايضا من قوله : يسيل نهر النار من كلماته .

ابن المقفع

شباب اليوم

بقلم : الدكتور نجيب الكيلانى

قالوا لها : « لقد جاء عباس الصفطاوى ليخطبك وقد وافقنا . اجل .. وافقنا لانها فرصة العمر بالنسبة لك ، فلا يعقــل ان تجود الأيام برجل فى مركزه وثرائه ، ثم انك تعرفين بالطبع أن أحداً لم يتقــدم اليك برغم انك قد جاوزت العشرين من عمرك يا « فوقية » .. لا شك انك موافقة .. »

وجرعت « فوقية » نصف كوب من الماء على غير ظمأ ، كان النبأ مفاجأة حقيقية لها ، لكنه لم يثر فيها شيئا من الانفعال ، لم يجعل قلبها يدق فى عنف ، او يلون وجنتيها البضتين بحمرة خفيفة ، او يبث فى حركاتها ولفتاتها اى نوع من الارتبــاك والاضطراب .. حتى خيل لعمتها — وهى فى مقام امها التى ماتت منذ زمن بعيد — أن فوقية كانت تتوقع هذا النبأ ، بل ساورت العمة الشكوك فى انه لابد ان علاقة ما كانت تجــرى فى الخفاء بين فوقية وعباس .. اما الاب ، فقد ظل على مقعده ينفث دخان سيجاره دون مبالاة ، بينما اخــذت الجدة تسعل فى وهن سعلات متقطعة ..

واستطردت العمة قائلة :

— انه ابن اختى وانا اعرفه .. لهذا فستكونين فى يد امينة ترعاك وتهيىء لك الحياة السعيدة ..

ووثبت صورة عباس الى ذهن فوقية ، كانت سمنته المفرطة ، وصوته الرفيع ، وبطنه المتكور تحت طيات الشحم ، وغطيطه اذا نام ، ونفوره من اى عمل مهما كان ، كل هذا كان مقتــرنا فى ذهنها بنهمه الذى لا يبارى فى التهام الطعام وتجرع المشروبات ، والعرق الغزير الذى يغرق جبينه كلما قدم اليهم فى زيارة ..

وهتفت عمتها وقد احنقها صمتها :

— ماذا قلت ؟ ؟

— امركم ..

قالتها فوقية فى نبرة ذليلة كســيرة ، وتطلعت الى والدها الأعزب الذى يدخن فى جمود ، وتحولت عنه الى جدتها التى تهز راسها دون معنى مفهوم ، ثم بلغت عمتها وتلاقت نظراتها التائهة مع نظرات العمة التى يبــدو على وجهها الاصرار والثقة ، وقالت العمة :

— هذا ما قررناه .. نحن ادرى بمصــلحتك منك .. انه يملك خمســين فدانا وعــربة وعمارتين ... انه حلم تحقق ..

وكان واضحا أن ليست هناك مشــكلة على الاطلاق ، فالعريس مقبول شــكلا وموضوعا ، ماضيه معهم حافل بالاحسان والعطف عليهم ، اما فوقية فهى فتاة طيبة ، لم تعــرف التمرد او العصيان فى حياتها ، ولم تفكر فى العبث كما يحلو لمثيلاتها من الفتيات اللائى يحلمن بالحب والمغامرات العاطفية المثيرة ، لقد عاشت بلا ام .. لم يداعب احلامها سوى احضــان أمها الدافئة ، وكلماتها الحلوة الحنونة ، وابتســامتها الوادعة .. وكانت العمة العانس هى الســيد المطاع الذى لا راد لمشيئته ، اما الاب فكان وقته موزعا بين المقاهى والسهرات الغامضــة والعمل بادارة المعاشات فى وزارة الاوقاف ، ثم النوم بضع ساعات آخر الليل فى حجرته ..

وخفق قلب فوقية خفقات متلاحقة ...

واخذ الارتباك يغزوها رويدا رويدا ، ان شعورا دافقا حلو المذاق ، شهى النكهة يلامس قلبها .. شعورا كالنغمة الحنون .. كالاغنية الدافقة بالمنى والرقة .. لقد تذكرته الآن .. تذكرت «حسنين» .. شقيق احدى صديقاتها .. ان حسنين ليس شــيئا مذكورا بالمعــايير التى تقيس بها عمتها الرجال .. مجرد شاب فقير .. تخرج من مدرسة ميكانيكا الطيران .. كان فى نظراته اليها دائما شىء يفهمه قلبها .. وبريق يهتز له قلبها وجسدها .. كان يعود كل مساء من عمــله متعبا ، لكن دلائل الثقة والأمل ترقص على محيــاه .. كان يحييها — عندما يراها — فى ادب ، ويبتســم فى وداعة ،

وكانت اخته تحـــاول ان تحـــدث فوقية عنه فى تواضع .. ثم .. ثم لا تجد الشـــجاعة الكافية لتستمر فى الحديث .. اكان يحبها ؟ ؟ ان قلبهـا يقول نعم ..

وافاقت فوقية على صوت العمة :

ــ ان عقد القران بعد شهر ..

ــ هكذا بسرعة ؟؟

ــ هـــكذا قررنا يا ابنة اخى .. عباس بك متعجل .. ثم انها فرصة يجب اقتناصها ..

ما دار بحلم احـــد منهم قط ان فوقية قد تعترض ، الاعتراض معناه الجنون .. ومع ذلك فقد تضايقت العمة بعض الشيء ، كانت تنتظر من فوقية أن تختطف يدها وتشـــبعها لثما وتقبيلا اعترافا بالجميل ، ولم تكن تدرى ان فى قلب الفتاة ســحبا وظلمة لانطـــلاق ، وان الفتاة عاجزة عن النطق ، عن التمرد الذى ليس من طبيعتها ، وكما يهمر المطر فجاة فى جو عاصـــف ملبد بالغيوم انسابت دموع فوقية ، وابتسمت العمة لاول مرة وهى تقول :

ــ دموع الفرح

واردفت الجدة :

ــ لا يتزوج الناس كثيرا .. انها لحظة العمر .. مزيج من الدموع والبسمات ..

وصرخت فوقية :

ــ كفى .. لن اتزوجه ..

انصب حديثها كالصـــاعقة ، وران الصمت العاصف ، لم يصدقوا آذانهم بادىء الأمر . لقد اصاب فوقية مس من الجنون لا شك .. لم تكن كذلك يوما ، ما عرفت الاعتراض او الثورة قط . هى تهذى .. وقهقهت عمتها دون أن تزايلها ثقتها بنفسـها :

ــ لماذا يا فتاتى الغالية ؟ ؟

ــ انا لا اتزوج كرة من الشحم .. هذا الفارغ الابله الذى يعيش كقطعة من اثاث قصره ..

ــ فمن تتزوجين اذن ؟ ؟

ــ لا يهم ..

ودوت على وجهها صفعة قوية ، تردد صداها فى الصالة الواسعة ، لم يلتفت ابوها ، لكانه وقع فريسة سنة من النوم ، وغمغمت الجدة : « فوقية مسكينة لا تعرف مصلحة نفسها .. حذار ان تكون قد وقعت فى حبائل شيطان من شباب اليوم .. »

وانسحب فوقية دامية العينين ، وقلبها يتنزى الما ، ومع ذلك فقد كانت تشعر ان نوعا عجيبا من الايمـــــان يغمر روحها ، ان مجرد تذكرها لحســنين يهبها قوة خارقة ، قوة خرجت بها عن طبيعتها واستسلامها وانصـــياعها لاوامر عمتها العانس ، هى نفسها استغربت لما حدث ، كانت تتصرف وكانها بلا ارادة ، لـكنها تبينت الان ان تصرفها الجـــديد كان ايذانا بمولد ارادتها .. ارادتها كانسانة تحب .. وتبغض .. تقبل هـذا وترفض ذاك ، وكان سلطان عمتها القديم قد ذاب امام حرارة الثقة وامتلاك مصير ذاتها ومشاعرها ..

وتحت جنح الظلام تسللت الى هنـــاك .. الى حســنين .. وخرجت من ظلام البيت وجموده وضيقه الى الشارع الرحب الذى تغـــرقه الانوار الكهربائية ..

وفى اليوم التالى عقد قرانها .. وتزوجت حسنين دون حضور اهلها .

وارتمت عمتها مهزومة متشنجة تصرخ فى غيظ وعذاب ..

. وابوها يدخن سيجارة فى هدوء ظاهرى وانامله ترتعش ارتعاشة خفيفة ..

وجدتها تسعل سعلات متقطعة ، وتتمتم :

ــ لا حول ولا قوة الا بالله .. اللعنة على عصر الشيطان .. ورحم الله ايام زمان ..

الدار القومية للطباعة والنشر